الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

الملحقة الجامعية بمغنية

كلية اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر
تخصص: أدب عربي

عنوان المذكرة:

الاغتراب في الشعر الأندلسي
عصر غرناطة أنموذجا

إعداد الطالبتان:

- **هجيرة خليفي عثمان**

تحت إشراف:

د. عبد الصمد عزوزي

أعضاء اللجنة المناقشة:

أ. أسماء بالهبري رئيسا
أ. وهيبة وهيب مناقشا

2016-2015

كلمة شكر والتقدير

بكل معاني الحب والوفاء أتقدم بخالص شكري وتقديرى إلى أستاذى الفاضل الدكتور\ **عبد الصمد عزوزي** الذي أشرف على هذه الرسالة وتابعها بدقة متناهية فكانت ملاحظاته القيّمة وآرائه السديدة ورحابة صدره المعتادة بالغ الأثر في الوصول بهذا العمل إلى المستوى المطلوب ،فجازاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأساتذة الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة الذين أثروا في هذه الرسالة بملاحظاتهم القيّمة.

وأخيرا أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من أسدى لي معونة في إعداد هذا العمل . جزاهم الله جميعا كل الخير والتقدير.

الإهداء

إلى والدي العزيز أطال الله في عمره وعفاه .....

إلى والدتي صاحبة الصدر الحنون والقلب

الدافئ.....الذين أدعوا الله أن يرحمهما كما رباني صغيرا.

إلى كل إخوتي الذين آثروا المؤازرة بالتشجيع فجزاهم الله خير الجزاء.

إلى باقي أفراد أسرتي الكريمة

أهدي إليهم هذا العمل عرفانا بما يحملونه لي من مشاعر الودّ والإخلاص

"هجيرة"

مقدمـة.

المدخل: لمحة تاريخية عن العصر الغرناطي

الفصل الأول: مفهوم الاغتراب وتجلياته في الشعرالعربي

المبحث الأول: مفهوم الاغتراب عند العرب والغربيين

المبحث الثاني: أنواع الاغتراب (النفسي–الزماني–المكاني)

المبحث الثالث: الاغتراب في الشعر العربي (الجاهلية حتى العصر العباسي)

الفصل الثانـي: الاغتراب في الشعر الأندلسي في العصر الغرناطي

المبحث الأول: الاغتراب في الشعر الأندلسي منذ الفتح الإسلامي وأسباب ذيوعه

المبحث الثاني: تجلياته في الشعر الأندلسي في العصر الغرناطي

المبحث الثالث: الخصائص الفنية والأنموذج

الخاتمة

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الاغتراب غرض من أغراض الشعر العربي. وقد ضرب فيه الشعراء بسهم وافر ، لأنّه يعبّر عن عاطفة إنسانية صادقة ،ويرتبط في أغلب الأعمّ ،بتجربة الحنين.

وقد كان للأندلس نصيب كبير في هذا اللون من الشعر نظرا للظروف القاسية التي تعرض لها الأندلسيون .

ومن العوامل التى دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع : حبّي الشديد لهذا النوع من الشعر لأن الاغتراب في الشعر الأندلسي – عصر سيادة غرناطة- لم يحظ باهتمام الباحثين وكان لابد أن نشبع هذه الفترة بحثا ودراسة .فما هو الاغتراب في عصر سيادة غرناطة ، وما أسباب ذيوعه وأهم تجلياته في الشعر الأندلسي؟

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد وفصلين وخاتمة.

- المدخل :وقد تناولت فيه الموقع الجغرافي لمملكة غرناطة ، ثم ألقيت الضوء على الأحداث السياسية التى مرت بها مدينة غرناطة ، موضحة الأوضاع كيف ساعدت على ازدهار الأدب .

-الفصل الأول :وخصصته لمفهوم الاغتراب وتجلياته في الشعر العربي ، مقسمة إياه إلى ثلاثة مباحث .

- المبحث الأول : مفهوم الاغتراب عند العرب و الغربيين.

-المبحث الثاني : أنواع الاغتراب (النفسي – المكاني – الزماني).

-المبحث الثالث : الاغتراب في الشعر العربي (الجاهلية حتى العصر العباسى).

ثم – الفصل الثاني : تجليات الاغتراب في الشعر الأندلسي .

-المبحث الأول :الاغتراب في الأندلس منذ الفتح الاسلامي و أسباب ذيوعه.

-المبحث الثاني :تجليات الاغتراب في العصر الغرناطي

- المبحث الثالث : الخصائص الفنية و الأنموذج.

-الخاتمة وفيها لخصت نتائج بحثي

ولقد سرت في هذه الدراسة على ما اقتضته طبيعة البحث من منهج تاريخيّ ،ومنهج تحليلي و وصفي.

واعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع ،منها :الاحاطة في أخبار غرناطة ،نفح الطيب ، ودواوين شعراء غرناطة.....

وقد واجهتني عدة صعوبات ،منها قلة المصادر والمراجع وبعد ، فقد بدلت قصارى جهدي في معالجة هذا الموضوع وأرجو أن أكون قد وفقت بعض التوفيق .

ولايفوتني ، في الأخير ، أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل على الجهد الكبير الذي بذله.

مغنية 27-04- 2016

هجيرة خليفي عثمان.

"**غرناطة**": إحدى مدن جنوب الأندلس، وإحدى قواعدها المهمة، ولها عدة تسميات، يقال غرناطة ويقال أغرناطة وكلاهما أعجمي، وتسمى في تاريخ الأمم السالفة من الروم سنام الأندلس، وتدعى في القديم بقسطلية[1]. ويروى أن اسم "غرناطة" معنى "الرمّانة"، لكثرة فاكهة الرمان بها، وقيل أيضا لحسنها[2]. وتسمى كورة ألبيرة التي فيها غرناطة، دمشق لأن جند دمشق نزولها عند الفتح. وقيل: إنّها سميت بذلك لشبهها بدمشق في غزارة الأنهار وكثرة الأشجار.[3]

- **نشأتها**:

تأسست مملكة غرناطة على أيدي بني الأحمر وبني نصر، وكان مؤسسها الأول أبو عبد الله محمد الأول هو الغالب بالله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن نصر بن الأحمر المعروف بابن الأحمر، من بني النصر أو بني الأحمر المنحدرة من قبيلة الخزرج القحطانية (635–671هـ/1237–1272). وقد ظهرت هذه الدولة بعد أن سقطت أهم حواضر الأندلس بيد الإسبان. وكانت تشمل ثلاث ولايات كبيرة: ولاية غرناطة في الوسط، وولاية المرية في الشرق، وولاية مالقة في الجنوب.[4]

---

[1]–الإحاطة في أخبار غرناطة: محمد لسان الدين بن الخطيب، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1419، ص 11.

[2]–الحنين في الشعر الأندلسي في القرن السابع هجري: محمد بن أحمد دقالي، دار الوفاء، الإسكندرية، ط2، 2008، ص 195.

[3]–نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ج1، ص 148.

[4]–الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط، عبد القادر قلاتي، دار الأصالة، الجزائر، ط1، 1427هت/2006م، ص 141.

نشأت مملكة بني النصر واتخذت من غرناطة عاصمة لها وذلك قبيل منتصف القرن 7هـ (القرن 13م)، فظهرت هذه المملكة في ظروف سياسية شاقة، لكنها لم تستطع المحافظة على كل الأندلس، التي كانت خاضعة لسلطة الموحدين، وخلال هذه الآونة العصبية، التي ظهرت فيها هذه المملكة، سقطت فيها العديد من المدن الأندلسية منها: قرطبة– بلنسية – اشبيلية، ثم تلتها مدن وحصون أخرى.

أمّا المدن والمناطق المتبقية فقد احتوتها مملكة غرناطة في الطرف الجنوبي من الجزيرة الأندلسية.[1]

وتقع مدينة غرناطة على وادي نهر شنّيل (Genil,xehil) أحد فروع الوادي الكبير،وتمتد من جنوب نهر الوادي الكبير إلى البحر المتوسط، حيث الجزيرة الخضراء وجبل طارق، ومن لُورْقة في ولاية مُرْسية شرقا إلى البحر المتوسط، ومن الشمال حتى قلعة يحصب في ولاية جبّان إلى شدونة في ولاية قادس غربا.[2]

وقد أشاد المؤرخون بحسن جمالها وخيراتها، منهم المقرّي الذي قال عنها: ***"قاعدة بلاد الأندلس، وعروس مدنها وخارجها لا نظير لها في الدنيا، وهو مسيرة أربعين ميلا، يخترقه نهر شّنيل المشهور، وسواه من الأنهار الكثيرة والبساتين والجنّات والرياضات والقصور، والكروم محدقة بها من كل جهة، ومن عجيب مواضعها عينُ الدمع، وهو جبل فيه الرياضَات والبساتين لا مثل له بسواها***".[3]

---

[1]–ينظر: من ذخائر التراث الإسلامي النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي، فتحي زغروت، الأندلس الجديدة، مصر، ط1، 1430هـ–2009م، ص 490.

[2]–ينظر: تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، دمشق، ط2، 1402هـ–1981م، ص 516.

[3]–نفح الطيب، المقدري التلمساني، م2، ص 176.

لقد تمكن النصارى من حصر الطرف الجنوبي للأندلس نتيجة انتصارات الملك القديس فرناندوا، فتدافع المسلمون المخرجون من ديارهم نحو الجنوب، ليحتموا في جبال بيتيس الجنوبية أو لينتشروا في بسائط مالقة.[1]

وهكذا لجأ بقايا مسلمي الجزيرة إلى الركن الضيق من الجزيرة وتزاحموا فيه، بعدما طردوا من المدن المجاورة لهم، ونشط ملوكها الصنائع والتجارة، وعمروا الطرق والمجاري، وتسلسل ذلك فيها فأتم الثاني ما بدأ به الأول وزينوا البلاد بأبنية بديعية، فأصبحت غرناطة أغنى مدينة في شبه جزيرة أبيريا. وبحكمة أمرائها انبعثت منها شعلة المدينة المغربية في إسبانيا.

وفي هذا المعقل الأخير الذي لجأ إليه اجتهدوا في الحفاظ على أراضيهم مستعينين تارة بقشتالة.وقد كانوا في ولائها، وتارة أخرى باستصراخ بني مرين أصحاب العدوة المراكشية، وتارة أحر ثالثة بأساليب السياسة الذكية القادرة، ولكن كيان دولتهم انهار مع الزمن بسبب الاستبداد والفوضى التي عانت منها مملكتهم.

و من مظاهر الازدهار الحضاري للعصر الغرناطي هو ازدهار الأدب، وذلك لتشجيع الحكام لها، أضف أنّ الأحداث الاجتماعية أفرزت جوانب جديدة من الإبداع الفني، ففي الشعر غلب الاتجاه الديني على كثير منه فكثرت البديعيات ونشأ أدب المولد ويفهم مما جاء في نفح الطبيب أنّ ملوك المغرب والأندلس كانوا يحتلفون بلّيلة مولد النّبيّ محمد صلّى الله عليه وسلم، وقد يخرج الشاعر بين المديح الملكي والنّبوي في قصيدة واحدة (كما فعل ابن زمرك ويحي بن خلدون). كما وجدت قصائد قيلت

[1]–ينظر: غابر الأندلس وحاضرها، محمد كردي علي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).ص 56

في ذكرى عاشوراء (ابن الزمرك). وكان لشيوع التصوف وازدهاره لابن هود الجازولي السّلماني أثر في تقوية هذا الاتجاه، فكانت هناك موشحات دينية وأخرى بديعية.

ولحق بالشعر الديني الأراجيزُ الفقهية، فقد طغت وعمّت: تناول الأحكام الفقهية والقضائية والأصول والحديث، فاشتهرت أراجيز أبي بكر بن عاصم، كما نظم ابن فرح الإشبيلي أرجوزة في أنواع الحديث ظاهرها الغزل.

كما عرف شعر الملاحم، ولكن تغلبُ عليه الإطالة والسرد التاريخي لسير الملوك من غير استعمال عنصر الخيال، كما كثر وصف الحضارة المادية بمظاهرها المختلفة على نحو ما عهد في العصور السابقة في الأندلس. ونتيجة للوضع السياسي فقد كثر النَظم في رثاء البلدان، والاستنجاد بملوك المسلمين لنجدة مدن الأندلس أمثال:(ابن الأبار، أبو البقاء الرندي).

وقد أغار الشعراء على شعر الشعراء الأقدمين، فقلّدوه، وخمسوه، ونصفوه وقلّدوا أعمال الشعراء المشارقة (البحتري، المتنبي)، وهم في ذلك كله كثيرُو الميل إلى السّجع وإلى أنواع من البديع والتوجيه بأسماء الكتب والجناس.....[1]

وكذلك كان النثر، كثير التكلّف (ابن الأبار)، مغرقا في التورية وأنواع البديع، والإغراب في كثير من الأحيان، واستخدام الصيغ الصرفية لغيرها وضعت له، وكثر التأليف في التاريخ بأنواعه وبرز أدب الرحلات، ومن أعلام المؤرخين البارزين: ابن الأبار القضاعي، ابن عذارى، ابن الخطيب، ابن بطوطة، ابن خلدون.

[1]–المعجم المفصل في الأدب واللغة، اميل بديع يعقوب وميشال عاصي، دار العلم الملاين، بيروت، (ط1)، 1987، ص 629.

كما برزت جهود نقدية متفاوتة القيمة فكان لأبي البقاء الرندي نظرات نقدية اتكأ فيها على ابن رشيق. وكذلك لابن خلدون مشارك في النقد في مقدمته.

وأمّا النحو فقد نشط وبرزت فيه أسماء شاركت في تأصيل النحو والتأليف فيه. ومن أعلام النحاة: ابن عصفور، ابن مالك، ابن آجرّوم، أبو حيّان الغرناطي....

إن كتّاب العصر كثيرون برز منهم واشتهر: موسى بن سعيد العنسي، وابن علي، أبو عبد الله بن جزيّ الكلبي، أبو جعفر بن صفوان ابن خاتمة الأنصاري، لسان الدين ابن الخطيب وغيرهم...

كما برز الشعراء والوشاحين:منهم ، ابن سهل الأشبيلي، عبد العزيز الملزوري، بدر الدين بن هود، لسان الدين ابن الخطيب، ابن جابر الأندلسي، ابن زمرك.[1]

- **<u>أساب سقوط غرناطة</u>:**

1- المنازعات الداخلية والصراعات المختلفة حول الحكم في الأسرة المالكة مما أدى إلى انشغال الحاكم ووزرائه بتلك الفتن التي لا نهاية لها.

2- استعانة حكام المسلمين بالعدو الإسباني ملك قشتالة. وقد كان لذلك الملك الأثر الكبير في إشعال الخصومة بين أمراء المسلمين فقد مال إليه ابن الأحمر وساعده في حصار اشبيلية ومكّنه من اقتطاع كورها، مما أدى إلى زوال الملك بينه وبين هود.

[1]–المصدر السابق، ص 630.

3- وقع المسلمون في خطأ عسكري كبير، على ما يبدوا أنّهم أجبروا عليه، وهو أنّ الحصون والقلاع سلمت للأعداء، كانت شرطا أساسيا من شروط ملك قشتالة عند عقد معاهدة بينة وبين المسلمين.

4- وكان من أسباب سقوط غرناطة أيضا هو أن اعتلى العرش بعض الملوك الخونة الذين باعوا ضمائرهم أمثال الزغلى، والملك عبد الله الصغير فقد باعوا البلاد وأضاعوا مصالح العباد في سبيل محالفة الأعداء.

5- تطور جبهة النصارى حيث توحدت فيما بينها كقوى قشتالة وليون وغيرها. بينما اشتغل المسلمين بالشهوات والانكباب على الملذات وشرب الخمر وحفلات الغناء وانتشار الفتن فيما بينهم.[1]

وهكذا على الرّغم من كثرة الفتن والاضطرابات التي قامت في مملكة غرناطة، إلاّ أنّها استطاعت أن تثبت أكثر من قرنين ونصف من الزمان (635-897هـ).

فتميّزت مدتهم بالجمع بين الجهاد والمقاومة والهجوم والدفاع على امتداد زمانهم، ومن جهة بين نهضة محددة في المناحي العلمية والثقافية والعمرانية من جهة أخرى.

[1]-ينظر: من دخائر التراث الإسلامي النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي، فتحي زغروت، لأندلس الجديدة، ط1، 1430-2009م، ص 195.

المبحث الأول: مفهوم الاغترا ب عند العرب والغربيين.

أ. لغـة:

والغَرْبَةُ والغربُ: النّوى والبعد، وقد تغرَّبَ قال ساعدة بن جؤية يصف سحابًا:

ثـمّ انـتهى بـصـري وأصـبـح جـالـسـا مـنـه لـنـجدٍ طـائـف مـتـعـربُ

ويقال: غربَ في الأرض وأغرب. إذ أمعن فيها، قال ذو الرّمة: أدنى (ثقافة) تقاذفه التغريب والخببُ ويروى في التقريب[1].

غرب: الغربُ، والذّهاب والتّنحي، والنّوى والبعد، كالغربة وقد تغرّبَ وبالضم النّزوح عن الوطن، كالغربة، والاغتراب والتغرّب وبالتّحريك: شجرٌ، والخمر.....[2].

وغربّ: غابّ، كغرّب، وبعُدَ، واغترب تزوج من غير الأقارب، واستغرب واستُغرِبَ وأغْرَبَ: بالغ في الضحك.

غرب: (الغَربُ): الدلو العظيم من مسك ثورٍ، ومنه قوله: فيما يُسقى بالغُروب".

و (الغرب) أيضا: عرق في مجرى الدمع يسقى فلا ينقطع مثل الناسور وعن الأصمعي بعينه غربٌ، إذا كانت تسيل فلا تنقطع دموعها ويالق (غرّبه) إذا أبعده، ومنه جلد مائة وتغريب عامٍ و (غرّب): بعد ومنه كل من مغربة.

خبز على الإضافة وهو الذي جاء من بعيد.المعجم[3]

(غّرُبَ) عن وطنه: غرابةً، وغُربةً: ابتعد عنه، والكلام غرابةً: غمض وخفي. فهو غريب ج.(غرباء)، وهي غريبة ج.(غرائب).

(الغارب) الكاهل، ويقال أصابه سهم غرب وسهم. غربٌ: لا يدري راميه، (الغريب) رجل ليس من القوم ولا من البلد ج.(غرباء).[4]

---

[1]– لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، مادة غَرُبَ.

[2]– ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب فيروز الأبادي، بتحقيق أنس محمد سامي وزكرياء جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، م1 (د.ط)، 1429هـ–2008م، مادة: غرب، ص 116.

[3]-المغرب في تريب المعرب،الإمام اللغوي أبي الفتح ناصر الدين المظرزي، تحقيق محمود الفاخرزي -الحميد مختار،ومكتبة أسامة بن زيد، سوريا،ج2 ،(د.ط)،(د.ت)،مادة : غرب

[4] –المعجم الوسيط، شوقي ضيف، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هت/2004م، مادة "غرب [4]

ب. الاغتراب اصطلاحا:

لقي مفهوم الاغتراب الكثير من الاهتمام لمحاولة ضبطه، ونظرا لتعقد هذا المفهوم تعددت وجاهته وأبعاده من جهة، ولارتباطه الوثيق بجذوره العربية والغربية.

فالاغتراب هي عاطفة تستولي على المرء، وبخاصة على الفنانين، فيعيشون في قلق وكآبة لشعورهم بالبعد عمّا يهون، أو يرغبون فيه. وقد تبرز هذه العاطفة في شكلين اثنين:

أ- أحدهما في حالة الابتعاد عن ملاعب الفتوة، وديّار الأحبّة، فيعبّر الفنان عن مشاعره بصور، وأخيلة ومعان تختلف جودة وعُمقا باختلاف الشخصية المبتكرة.

ب- والثاني في حالة الشّعور بأن العالم كلّه هو في سجن أقحم فيه الفنان مرْغَما. فكبلته بقيوده، وغَمَره بشروره وآلامه، فهو يحس بأنه غريب بين مواطنيه وأهله، وهو أبدا تائق إلى عالم آخر خير من هذا مؤمن بوجوده وبأنّه ملاق فيه كل ما يحقق رغباته الظمأى على الأرض. وقد شاع هذا النّوع من الغربة في آثار الرومانسيين، وبلغ أوضح ملامحه في أشعار المتصوفين كالحلاّج، وابن الفارض، وابن عربي، وكل من سار على دربهم من القدامى والمحدثين.[1]

وقد ظهر مفهوم الاغتراب في الإسلام عندما بزع هلال الإسلام حاملا مشعل النّور والهداية والخير، لم يستجب له بادئ الأمر إلاّ نفر قليل من الناس، معظمهم من قرابة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، حين كانت الكثرة الكارثة من العرب تهيم في عبادة الأصنام والأوثان التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وكانت تنعت القلة التي لبّت دعوة محمد بن عبد الله (طعم) بـ"الغبراء" يقول الحديث "بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء.

على العموم "فالاغتراب" بالمعنى الإسلامي اغتراب عن الحياة الاجتماعية الزائفة الجارفة، واغتراب عن النّظام الاجتماعي غير العادل. فالغرباء قاوموا الحياة ومغرياتها بطريقة إيجابية....فقهروا السلطتين جميعا، سلطة الحكام وسلطة النّفس بترويضها على الطاعات والمجاهدات واعتزالهم عن الناس فحل النظام الرّوحي

[1]–المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم الملاين، بيروت، ط2، 1984، (د،ت) ،ص 186.

الداخلي الذي يشيع في النّفس الشعور بالأمن والأمان محل النّظام السياسي الخارجي.[1]

كما تحدث "محمود رجب" على أن الوجود الإنساني، اغتراب وخطيئة، وأن أول غربة اغتربناها وجودًا حسيّا عن وطننا، غربتنا عن الوطن عند الإشهاد بالربوبية الله علينا، ثم عمرنا بطون الأمهات فكانت الأرحام وطننا. فاغتربنا عنها بالولادة.

وناقش "محمد خضر عبد المختار" (1998) علاقة الاغتراب بالوجود الانساني فاستخلص أن الوجود الانساني وجود مغترب بالضرورة الإلهية، فاغتراب آدم عليه السلام من الجنّة وهبوطه الأرض، وكذلك ميلاد كل طفل من رحم الأم يعتبر بمثابة البدرة الأولى للاغتراب.

ومن تعريفات "أحمد أبو زيد" للاغتراب بأنه انسلاخ عن المجتمع والعزلة والانعزال عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة وعدم الشعور، بل وانعدام الشعور بمغزى الحياة.[2]

فمن الناحية الدينية نجد فكرة الاغتراب عن الله ترد في أكثر من موضوع من القرآن الكريم فمثلا قول الله تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ(27)﴾.[3]

فهذا الذهاب إلى القبر والتنحي عن المكان المألوف هو ما يجعل من الدنيا دار غربة، فالإنسان من حيث استقر تقَدُمه في هذه الدار فهو مسافر إلى ربّه، ومدّة سفره في عمره الذي كتب عليه فالعمر هو مدة سفر الإنسان في هذه الدار إلى ربه تعالى ثم قد جعلت الأيام والليالي مراحل سفره. فكل يوم وليلة مرحلة من مراحله، فلا يزال يطرحها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي سفره.[4]

---

[1]– *نقلا عن: الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، فريد أمعضيشوا، شبكة الألوكة، ط1،* 1436هـ–2015م، ص 10–13.

[2]– دراسات في سيكولوجية الاغتراب، عبد اللطيف محمد خليفة، دار الغريب، القاهرة، 2003، ص 20.

[3]– سورة الرحمن، الآية 26–27.

[4]– طريق الهجريين وباب السعادتين، شمس الدين أبي عبد الله بن القيم الحوزية، تحقيق عبد الكريم فضلي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت،(د.ط)، 2003، ص 222.

كما نميز بين نوعين من الغربة في الشعر الجاهلي، فالأولى نسميها بغربة القهر، وغربة الذات. فالغريب هو من كان بعيدا عن وطنه وأهله، ومن كان في غير قومه وأرضه. وهنالك غربة مادية تتجلى في الخروج على مبادئ الناس وتقاليدهم وأعرافهم (إنّ الإسلام بدأ غريبا) والغرباء هم (الذين ما أمات الناس من سنتي).[1]

وتبقى ظاهرة الاغتراب سمة واضحة ترافق الشاعر العربي في كل العصور مؤكدة على شفافية إحساسه ورقة مشاعره.

يعتبر فروم من المفكرين الذين أعطوا لدراسة الاغتراب أهمية خاصة فهو يعرفه قائلا: "المقصود بالاغتراب نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان نفسه كغريب ويمكننا القول أنّه أصبح غريبا عن نفسه كمركز لعالمه وكخالق لأفعاله. بل أنّ أفعاله ونتائجها تصبح سادته الذين يطيعهم أو الذين حتى قد يعبدهم وهنا يشير إلى قضية اغتراب الإنسان عن ذاته.

إن المقابل للكلمة العربية اغتراب أو غربة هو الكلمة الإنجليزية Aliénation، والكلمة الفرنسية Aliénation. وفي الألمانية Entfremdung. وقد اشتقت كل من الكلمة الإنجليزية والفرنسية أصلها من الكلمة اللاتينية Alienation وهي اسم مستمد من الفعل اللاتيني Alienare والذي يعني نقل الملكية شيء ما إلى آخر أو يعني الانتزاع والإزالة.[2]

تعني كلمة الاغتراب عند "هيجل" تماثل Enifremden أواخر العصور الوسطى في ألماني في القرن 12 و 15 أشارت هذه الكلمة إلى من يأخذ ويسرق أمتعة شخص آخر كما نشير إلى الاغتراب العقلي لاسيما الغيبوبة، أو الذّهول ولكنها أشارت فيا بعد إلى غربة الأشخاص بعضهم إلى بعض.

ويذهب "شاخت" في كتابته عن الاغتراب إلى أن "هيجل" في كتابه "ظاهريات الروح" يستخدم كلمة الاغتراب ليطلقها على ظاهرتين متميزتين:

---

[1]–الغربة في الشعر الجاهلي، عبد الرزاق الخشروم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 1982، **ص 13–14.**

[2]–ينظر: الإنسان المغترب عند إريك فروم، حسن حماد، مكتبة دار الكلمة، مصر، (د.ط)، 2005، ص **29.**

1-واقعة أن الجوهر الاجتماعي غريب عن الفرد.[1]

2-اغتراب الفرد أو تنازله عن ذاته الفردية للتتحد مع الجوهر الكلّي.

أما "إميل دور كايم" فيتناول الاغتراب في تحليله حيث سماه الأنوميا Anomie أو تحليل المعايير. فهو يتعقد أنّ سعادة الإنسان لا يمكن تحقيقها بصورة مرضية ما لم تكن حاجته متوازنة مع الوسائل التي يملكها لإشباعها.

يعتقد "كارل ماركس" أنّ النظام الرأس مالية هو عامل من عوامل الاغتراب أو الانخلاع ليس العامل Labourer بل ولجميع الناس.

فالناس يشعرون بالاغتراب (باعتقاده) في ظروف تقسيم العمل، لأن رأس المال والعمل هما وجهان للعلاقة نفسها.

ولقد ورد ذكر مفهوم الاغتراب بشكل أو آخر في الكتابات الفلسفية واللاّهوتية القديمة وترجع جذورها إلى ما طرحه بعض الفلاسفة الإغريق القدامى كالفيلسوف سقراط. وتبرز فكرة الاغتراب أيضا في سفر التكوين Genesis في الدراما الإنسانية المتعلقة بالخلق وسقوط الإنسان وانفصال المتمثل في قصة الإنسان والثمرة المحرمة والخروج من جنة عدن وصراعه بين الجسد والروح.[2]

[1]–ينظر: معجم مصطلحات هيجل، ميخائيل أنوود، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المركز الأعلى للثقافة (د.ط).(د.ت)، مصر، ص 81.

[2]–ينظر: الاغتراب، أبو زيد أحمد، مجلة عالم الفكر، م10، ع1، 1979، ص 29–30.

المبحث الثاني: أنواع الاغتراب (النفسي-الزماني-المكاني).

أ. الاغتراب النفسي:

رغم شيوع مفهوم الاغتراب النفسي إلاّ أنّه من الصعب تخصيص نوع مستقل يطلق عليه الاغتراب النفسي نظرا لارتباطه بجميع أبعاد الاغتراب الآخرى كالثقافي والسياسي والاجتماعي، فالاغتراب النفسي مفهوم عام وشامل يشير إلى الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشخصية للضعف أو الانهيار، كما يشير إلى النّمو المشوه إلى الشخصية الإنسانية،حيث تفتقد فيه الشخصية مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة.

ويتحدد مفهوم الاغتراب في الشخصية في الجوانب التالية:

-حالات عدم التكيف التي تعانيها الشخصية، من عدم الثقة بالنّفس، والمخاوف المرضية، والقلق، والإرهاب الاجتماعي.

- غياب الإحساس بالتماسك والتكامل الداخلي في الشخصية.

- ضعف أحاسيس الشعور بالهوية والانتماء والشعور بالقيمة والإحساس بالأمن.

وقد أوضح "إيرك فروم" في كتابه "المجتمع السَويُّ"، أن المعنى القديم للاغتراب قد استخدم للدلالة على الشخص "المجنون" والتي تدل عليه الكلمة الفرنسية Aliené.والكلمة الإسبانية Alienado، فهما يدلان على الشخص السيكوباتي، أي الشخص المغترب عن عقله.

يرى "وايت" White أنّ الاغتراب النّفسي هو اغتراب عن الذات أيضا حيث يرتبط ارتباطا موجبا بالاغتراب عن المجتمع ومنهم من يذهب إلى أن الاغتراب هو غربة عن الذات.[1]

ويرى اركسون" Erikson، أنّ الاغتراب النفسي هو عدم الشعور بتحقيق الهوية وما ينتج من أعراض "الفرد الذي لم تحدد هويته بعد يعتبر مغتربا لأنه يفتقد الإحساس بالأمن الناتج عن عدم تحديد الهدف المركزي.[2]

ويعبر ابن جبرون حنينه إلى وطنه وأهله وأبنائه في أبيات يستأذنه في المشي لزيارة بنيه بشلب يقول فيها:

---

[1]- *دراسات في سيكولوجية الاغتراب، عبد اللطيف محمد خليفة، ص 80.*

[2]*–الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية، جديدي زليخة، جامعة وادي سوف، ط1، ع8، (د.ط)، الجزائر، جوان 2012، ص 12.*

يا خيرَ من عبد الرّحمان عبدكم يَشْكُوا إِلَيكم فِرَاق الأَهْلِ والوَلَـــــــــدِ

فإن أذنتم له في أن يطالعهـــم فـــهـذه دارهـــم منـــهم إلى صـــدد[1]

يعتبر الاغتراب النفسي ظاهرة إنسانية عامة تحمل في طياتها الجانب الإيجابي والسلبي، فهي شائعة في كثير من المجتمعات.

ب.الاغتراب الزّماني:

الاغتراب الزّماني يعدّ من الأمور الغامضة لأن الارتباط بين الإنسان والزمن أكثر غموضا من الارتباط بينه وبين المكان، فالمكان ثابت نسبيا. أمّا الزمان فمتغيّر، وبالتالي فتأثيره النفسي على الإنسان أكثر غموضا.

ولعلّ بالإمكان من خلال دراسة التاريخ يتطور منظور الاغتراب بالشكل الذي يوفر إستراتيجية محددة لرصد تلك الظواهر، ومن الملاحظ أنّ هناك نزعة عامة في الأواسط الفكرية والعلمية تتعلق باعتبار الاغتراب مظهرا من مظاهر العالمية التي تهدد النّسيج الاجتماعي للمجتمع. فاهتمام الباحثين بفجوة الأجيال باعتبارها عنصرا خطيرا من عناصر الاغتراب هو اهتمام لا يخلو من بعض المبالغة. فهذه الفجوة هي واقع الأمر حقيقة كمية لها تأثير في التنظيم الاجتماعي العام للمجتمع الإنساني.

كما تشير كثير من الدراسات الاجتماعية والنفسية، أنّ الكثير من الدراسات تعاني من عدم واقعية الادعاء بأن الاغتراب في الماضي يختلف عن اغتراب هذا القرن، و يوحى هذا الادعاء أن الإنسان المغترب المعاصر هو أشدّ خطر وتهديدا للمجتمع بسبب الاختلاف الكمّي في مدى ما يصل اغتراب هذا العصر بالقياس لما كان عليه الحال في العصور السابقة.

إنّ التركيز على الجانب الانفعالي الفردي في الاغتراب يسمح بإثارة مثل هذه التساؤلات المعبرة عن الاختلافات النوعية بين نتائج الاغتراب بين الماضي والحاضر.[2]

---

[1] *الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، فوزي عيسى ،دار الوفاء لدنيا ، الاسكندرية، ط2 ،2008 ص160*

[2] –ينظر: الاغتراب، أبو زيد أحمد، مجلة عالم الفكر، ع.1، مج.10، 1970، ص 29–30.

إنّ موضوع الزمان كغيره من المواضع الأخرى قد أخذ قسطا وافرا من الاهتمام والمعالجة لدى الشعراء وهذا ما نجده عند الشاعر "أبي العلاء المعري" في قوله:

نزول كما زال أباؤنـا ويبقى الزّمـــــان على ما ترى

نهارٌ يمر وليلٌ يكـــر ونـــجـمٌ يغـور ونـجمٌ يـــرى[1]

فأبو العلاء يحدثنا عن الزّمان، فيذكر لنا زمانين: أحدهما زمان سرمدي والآخر زماننا أي عمرنا.

ومن ذلك أيضا قول "ابن حمديس الصقلي" وقد خرج من مقلية إثر الزحف المسيحي وتوجه نحو غربي الأندلس. فقال في الغربة:

تذرّعت صبري جنّة شوائـــب فإن لم تسالـــم يا زمان فحـــارب

عجمت حصاة لا تلين لعاجـــم ورضت شموسا لا يذل لراكـــب

كأنّك لم تقنـــــع لنفسي بغربـة إذا لـم أنـقـب في بلاد المـغارب

أتحسبني أنسي ، وما زلت ذاكرا خـــيّانة دهري أو خيانة صاحبـي[2]

ج. الاغتراب المكاني:

الغربة المكانية تتمثل في البعد عن الأهل والوطن، اضطرارًا أو اختياريا لأسباب اقتصادية أو سياسية وحتى علمية، وما زالت النّفسية العربية من أبعد العصور كما هي بمقوماتها، لم يبدل فيها الزمن كثيرا، فالعربي مازال يخشى فراق الأرض التي نشأ فيها ويحس بالحنين والغربة أينما اتجه فالنفي يفزعه والهجرة تضنيه.

ومنذ الجاهلية بدأت تتضح ملامح الاغتراب المكاني وتتحدد عند بعض الشعراء على ذكر الدّيار والأطلال بل صارت تتضح ملامح الأرض وحدودها

---

[1]–المجموعة الكاملة أبو العلاء المعري، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ط2، 1983، **ص** *270.*

[2]– ديوان ابن حمديس، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1379هـ–1960م، ص 28–29.

ومرابعها ومعانيها،ويصحبها ذكر الشوق والحنين إليها وإلى أيام الحب والخير والصفاء، ويكثر في شعرهم الحنين إلى الديار.

فهذا امرئ القيس حين توجه إلى بلاد الروم كان يحن[1] إلى الأهل والوطن. وكلما وصل مدينة أو جاوزها، كابده حسرة على فراقها يقول وهو في طريقه إلى بلاد الروم:

سَـما لك شوقٌ بعدمـــا كان أقصرا وحلّت سُليمى بطنَ قوف عرعـرا

كِنانيةٌ بانت وفي الصدر ودُّهـــــا مجاورة عمّان والحيَّ يعمّـــــــرا[2]

كما نجد الاغتراب المكاني عند أبي العرب الصقلي الأندلسي مصعب بن أبي الفرات (423-508هـ) الذي قال :

وَيـــا وَطـنِـي إنْ بـنْتَ عنّي فإنـنِي سأوطن أوكار العتقاق النجائب

إذا كـــــان أصلي من تراب فكلّها بلادي وكـــلُ العـالـمـين أَقـارِبي

بل كان يتمثل وطنه في كل شيء يراه على أرض الغربة، وآية هذا ما أحسه حينما رأى النيلوفر نابتا في الأندلس فهاجت ذكراه إلى وطنه في نفسه فقال:

هو ابنُ بلادي كاغترابي اغترابُه كلانا عن الأوطـــــــان أزعجه الدّهر

ويصور ابن هشام القرطبي نظرة النّاس للنازح الغريب وعدم ترحيبهم به ويتمسك بالبقاء في وطنه، ويرفض النزوح لأي سبب من الأسباب فيقول:

يا آمري أن أحث العيش عن وطني لما أرى الرّزق فيه ليس يرضيني

نصحت لـــــكن لي قلبا ينازعنـــي فلو ترحلت عــنه حلـــه دونـــي

هذا يـــــقول غريب ساقه طـمـع وذاك حين أريه البرِ يجـــفونـــي[3]

---

[1]–ينظر: الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان يحي جبوري، دار ط2، 1428هـ–2008م، ص 20. مجد لاوي، الأردن، ط2، 1428هـ–2008م، ص 20.

[2]–ديوان امرئ القيس، مصطفى عبد الشافي، تحقيق حسن السندوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 1425هـ–2004م، ص 56.

[3]–الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي عيسى، دار الوفاء لدنيا، الإسكندرية، ط1، 2008، **ص** 160–161.

وهنا نجد الإحساس بالغربة واضحا عند ابن جبير وقد شهد العيد في مصر فلا يجد نصه إلاّ غريبا في هذه المناسبات لا يملك إلاّ ذكرياته ودموعه.

المبحث الثالث: الاغتراب في الشعر العربي (الجاهلية حتى العصر العباسي)

- الاغتراب في الشعر الجاهلي:

الاغتراب كظاهرة في الشعر العربي بدأت بوادرها منذ العصر الجاهلي، وتجسد ذلك من خلال اغتراب الجاهلي عن أرضه وأهله، حيث كثر حنينه إلى الديار، والبكاء على الأطلال، الحنين إلى الحبيب.

والشّاعر الجاهلي عزيز دائما في قومه فإذ نأى عن أهله وديارِه فهو غريب ذليل مهان. وقد عبّر "عمر بن هبيرة" عن هذا الهوان في قوله:

ومن تكُ في غـــير العشيـــرة دارهُ يغصّبُ فتُبرد غير مُرضى مغاصبُه

يرى كلّ صوتٍ منهمُ فوق صوتهِ ولا يجبوا منه الذي هو واجـــــــبـه

ويذكر عليه إن أرابَ بـــــخطـــةٍ ولا يستطيعُ تنكيرَ ما هو رائبـــُـه[1]

وحبّ الأوطان عميق في نفس عنترة فهو مقرون بحب الأولاد، والحنين إليه كحنينه إلى الأولاد والوطن مقرون بحبّ الحبيبة عبلة:

أحرقتني نار الجوى والبعـــــاد بـعدّ فقْـــدِ الأوطـــــــان والأولاد

شـاب رأسـي فصـار أبـيضَ لونا بعـــــد مـــا كان حالكًا بالسّـــــــوادِ

وتذكّرت عبلة يوم جـــــــاءت لـــوداعـي والـهـمُّ والـوجـد بـادي[2]

وهنا يشكو الطائر الحمام عن همومه آملا أن يصله خبر عن فارق من الأهل والخلان، وفي البكاء على الأطلال يقول أيضا:

لِمَنْ طَلَلٌ بالرّقْمَتَيْن شَـــــــجَانِـــي وَعَاثَتْ بِهِ أَيْدِي البِلَـى فَحَكَانِـي

وَقفْتُ بِـهِ والـشّـوقُ يَكْـتُبُ أَسْـطُـرَا بِأَقَلاَمِ دَمْعِي فِي رُسُومِ جِنَانِـي

ألاَ يَا غُرَابَ البَـيْنِ لَوْ كُنْتَ صَاحِبِي قَـــطَعْـنَا بِلاَد اللّـــه بالدَوَرَانِ

---

[1]–الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، يحي الجبوري، دار مجد لاوي، ط1، 1428هـ–2008م، ص 22.

[2]–شرح ديوان عنترة، للخطيب التبريزي، تحقيق مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ–1995م، ص .45

عَسَى أَنْ نَرَى مِنْ نَحْوِ عَبْلَـــةَ مَخْبِرَا بأيّةِ أَرْضٍ أوْ بأيِّ مَكَـــانِ

وهنا نجد الغراب ويخبره عن شوقه وحنينه لعبلة مسائلا إياه عن أخبارها، وفي الأخير، يقول بأنه رغم غياب عبلة إلاّ أنها دائما في فكره ولا ينسى ذكراها.

وهنا ينتمي الطيران لكي يقدر على التنقل بحثا عن حبيبته عبلة وذلك بالاستعانة بالطائر إذ يريد استعارة جناحه مقابل دموعه التي لا تفنى، وقد كثر في شعر عنترة توظيف الطائر الذي كان رفيقه الوحيد بعد هجران عبلة ونأيها عنه واستحالة الوصال إذ يقول:

أحـنّ إلى تـلـك المـنازل كـلّمـا غـدا طائر في أيكـة يترنـــــــــم[1]

وقد كثر عند عنترة خطابه للطير، وربما يعود ذلك لكثرة تنقله وتهجره فيبعث معه تحياته للخلان وسلامه إليهم.

ولامرئ القيس تجربة خاصة في الاغتراب عن الديار والوطن فقد أمضى شطرا كبيرا من حياته، شريدا هائما على وجهه بعدما أنكر عليه أبوه قول الشعر وخروجه مغضوبا عليه يقول:

تذَكّرتُ أهلي الصّالحين وقَدْ أَتَتْ على حَمّلي خُوصُ الرّكاب وأوجـــرا

فلمّا بَدَتْ حَوْرَانُ في الآلُ دونها نَظَرْتَ فلم تنظرْ بعينيكَ منْـــــظـرا

تَقَطّع أسْـبَابُ اللّبَانَة والهـــوى عـــشـيَّة جاوزْنا حماة وشيْـــــرَزَا[2]

فهو هنا يبحث عمن يأخذ بثأر أبيه لاسترجاع ملكه الضائع، فذهب إلى ملك الروم لتحقيق غايته، لكن إحساسه بالغربة كان مؤلما منذ بدأ رحلته وفارق أهله وبلاده.

ونلمح ألوانا أخرى من الاغتراب في الشعر الجاهلي، كالاغتراب عن المجتمع وقيمه فهو واضح عند الكثير من الشعراء أمثال "طرفة بن العبد" مثلا الذي عاش ظروفا قاسية في حياته، وهذا ما أدى به إلى الشعور بالاغتراب ، وهذا ما نستشفه في قوله:

1- شرح ديوان عنترة الخطيب التبريزي ، حققه مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ،ط2، بيروت ،1416-1995،ص65

[2]–ديوان امرئ القيس، مصطفى عبد الشافي، تحقيق حسن لاسندوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 1425هـ–2004م، ص 62.

وظـلـم ذوي الـقربى أشـد مضاضـة على المرء مـن وقع الحـسام المهنّد

ويجد امرئ القيس أول من بكي الأطلال ويقول في مطلع قصيدته:

قِفا نبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْـزِلِ بسقْطِ اللّوى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَــوْمَلِ

فَتُوضحَ فالمِقراة لمْ يَعْفُ رَسْمُــهَـا لِمَــا نَسَجَتْهَا من جَنُوبٍ وشَمْــأل[1]

لقد نفذ الماء والكلأ إذن، وجاء وقت الرّحيل من الوطن والبحث عن مكان آخر تتوفر فيه أسباب العيش، ورحلت الحبيبة مع قبيلتها، فبدأت غربة الشاعر بالوقوف على الأطلال ووصف ما تبقى منها في صور حزينة.

ويقول امرئ القيس مصورا أثر مشهد الرحيل في نفسه:

كأنّي غداة البَيْن يوم تحمّلـوا ندى سّمُرات الحيّ ناقف حـــنـظـل

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمّـــــــــل[2]

ويقول النّابغة الذّبياني واصفا حلو الدّيار:

أمْستْ خَلاءً، وأمسى أهلُها احتملوا أخنى علَيها الذي أخنى على لُبَـــدٍ

فعدّ عمّا تَرَى، إذ لا ارتجاعَ لـــــه وانْمِ الـقتودَ على عيـرْانةٍ أجُـــــدٍ[3]

ويقول طرفة:

ومـــــا زال تشرابي الخمور ولذّتـي وبــيعي طريفي ومتـــــلدي

إلى أن تحل مثنى العشيرة كلّـــــــها وأفردت إفراد البعير المعبّد

لقد وجد طرفة نفسه وحيدا آخر المطاف راح يطوف ويطول البلاد وعرضها وعاش غريبا محروما من الأهل والعصبية التي هي ركيزة الحياة القبلية، فضاق من الغربة وتمنى لو يعيش حياته مع أقاربه.

إن المتأمل في شعر شعراء الجاهلية يكشف لنا المرارة والإحساس القوي بالضياع والاغتراب الذي عاشه هؤلاء الشعراء، وكيف أثر ذلك على شعرهم فتميز بحسنه وجمال إيقاعه.

---

[1]- المصدر السابق ، ص 101

[2] – *ديوان امرئ القيس، ص 111.*

[3] - ديوان النابغة الذبياني ،شرح نصر الحنّى، دار الكتاب العربي ، بيروت "1، 1411ه-1991م ص48

الاغتراب في الشعر الإسلامي:

إنّ الاغتراب ظلّ واضحا في الشعر الإسلامي، وذلك نتيجة طبيعة الفتوحات الإسلامية، حيث كان الفتح الإسلامي بداية التغرب الحقيقي عن أرض الجزيرة العربية بشكل كبير ومنظم، وقد كانت هناك دوافع عديدة للاشتراك ضمن القوافل المجاهدين أهمها الدافع الديني، فقد لبى داعي الجهاد في سبيل الله آلاف المسلمين طاعة الله وابتغاء رضوانه.

ونجد مالك بن ريب يشكو غربته وحنينه لأهله وديارة وفي هذا يقول:

تَـذَكَـرْتُ مَـنْ يَبْكِي عَلِيَّ فَلَمْ أَجِدْ سِوَى السَيْفِ والرُّمْحِ الرُّدَينِي بَاكـــــيًا

أُقَلِبُ طَـرَفِي في رَحْلِي فَلاَ أَرَى به مِن عيون المُؤْنســـــات مُراعـــــيًا

وبـالـرَّمـل مِنّا نِسوة لَوْ شَهِدْنَنِي بَكَـــيْن وفدّين الطَـــبِيبَ المُـــــدَاوِيـَـا

فَـمِـنْهُنَّ أُمِّي وَابْنَتَاي وَخَالَتِـي وَبَاكِيَةٌ أُخـــــــرى تَهِيـــجُ البـَوَاكيـَـا[1]

فالشاعر هنا يصف حاله حين شارف على الموت لا يتمنى سوى أن يزور البلاد، وينام فيها ليلة، وهو أيضا يحن إلى الذين كانوا يشفقون ويعطفون عليه.

ومن الشعراء الإسلاميين أيضا عمر بن أبي ربيعة الذي كتب إلى الثّريا وهي في مشتاق يقول:

كـتـبـتُ إِلَـيْـكِ مِـنْ بـَلَـدِي كِـــتـَابَ مُـولـَه كَـــــمَـدٍ

كَـئِـيـبٍ وَادِف الـعَـيْـنَـــي نِ بالحَسَـــــرَاتِ مُنفـردُ

يُـوَرّقـه لَـهِـيـبُ الشَّـــــوْ قِ بَيْنَ السَّـــحْرِ والكَـبِـــدِ[2]

والشاعر في هذه الرسالة يصف لنا أشواقه وحنينه إليها في أسلوب أنيق يشير من خلاله إلى صدف عواطفه التي تبدوا حساسة لأن الشوق أحزن الشاعر وأدمع عينيه وأرقه مما اضطر الشاعر للكتابة تعبيرا منه عن ألمه لفراق حبيبته.

---

[1] – ديوان مالك بن ريب، حياته وشعره ، بوزى الحموي القيسي ، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، مج15، ج1، (د.ط)، (د.ت)، ص 43–44

[2] ديوان عمر بن أبي ربيعة ،فاي محمد، دار الكتاب العربي, بيروت ،ط2،1416هـ–1996م،ص116

والاغتراب عن الوطن السماوي، اغتراب يشترك فيه المؤمنون جميعا، فالمؤمن في الدنيا غريب أو عابر سبيل، وفي هذا المعنى يقول ابن الجوزي:

وحْيٌ على جِنان عَدَنْ فإنّهـــا مَنَازِلُكِ الأُولَى وَفِيهَا المُخَيَّـــــــمُ

وَلَكِنَنَا سبيُّ العَدُوِ فَهَلْ تُـرى تَـعُودُ إلى أَوْطَاننا ونســــــــلَـمُ

وأيُ اغترابٍ فَوْقَ غُرْبَتنا التي لَهَا أَضْحَت الأعْدَاءُ فينا تحْـــــكُمُ[1]

والغربة عند ابن قيم الجوزية ثلاث: غربة أهل الله وأهل السنة ورسوله بين الخلق، وهي غربة مدحها الحديث الشريف، وغربة مذمومة وهي غربة أهل الباطل، وغربة مشتركة لا تحمد ولا تذم وهي الغربة عن الوطن.

ومن أروع صور الحنين ما قاله عبد الرحمان الداخل في الشوق والحنين إلى وطنه الشام وأهله، فكتب إلى أخته بالشام يبثها أشواقه وحنينه:

أيّها الرّاكبُ الميَمِّمُ أرضـــــي إِقْرِ بعضَ السّلامِ عنّي لبـعـــضِ

إنّ جِسْـــمِي كَمَا تَرَاهُ بأرضٍ وفُـــــؤَادِي ومَالِكِيـــــه بـأرضِ

قدّر البينُ بـيـنـنـا فافترقنـا وَطَوَى البينُ عن جفوني غَـمْضِي

قد قضى اللهُ بالفراق علينا فَعَسَى باجتماعنا سوف يَـــقـضِـي[2]

[1]–الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، يحي الجبوري، ص 114.

[2]–المصدر نفسه، ص 167.

الاغتراب في الشعر الأموي:

إنّ الحياة الدينية طوّرت الشعر الأموي وأثرت أثرا عميقا في نفوس الشعراء، فقد أخذوا يستخدمون بعض المعاني والألفاظ الإسلامية كي يؤثروا في قلوب من يحبون.

فكثر الشعر الذي يذكر بالغربة والاغتراب والحنين إلى الأهل والأوطان، وقلما نجد شاعرا يخلوا ديوانه من ذكر الغربة والشكوى من النأي والبعد والشوق إلى الحبيبة والمحبين.

ويهاجر المسلمون من مكة في الإسلام، ولكنهم يحنون إليها، ويتمنون العودة إليها، فهي الأرض والوطن وفيها بيت الحرام، فكان ابن أم مكتوم عمرو بن قيس (ت.23هـ) آخذا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف ويتغنى بحب مكة:

يـا حبَّذَا مكّة مـــــن وادي أرضٌ بها أهلي وعُـــــــــوَّادي

أرض بـهـا تـرسـخ أوتــادي أرضٌ بها أمشـــــــــى بلا هـادي[1]

وقد تكون غربة الصعاليك واللصوص غربة بسبب السياسة والخروج على الدولة أو جور السلطان، وتكون الجبال والصحراء ملاذا آمنا لهم، وهذا ما كان من أمر مالك بن ريب (ت.60) الذي كان يخيّر حكام بن مروان بين أن ينصفوه أو لن يخرج عليهم، وأرض الله واسعة يغترب فيها وتنجيه من الذّلّ وجور السّلطان:

فإن تنصفوا بآل مروانَ نقتـــــرب إليـــكم وإلا فأدنوا بـــبـــعـــادِ

فإنّ لنا منكم مراحًا ومزحـــــــلاً يعيش إلى ريح الصلاة صوادي

وفي الأرض عن دار المذلّة مذهب وكلّ بلاد أوطَنَت كـبـــــــلادي[2]

ولعل أكثر ما غلبه الشوق والحنين إلى المحبوبة جميل بن معمر حيث يصف حاله بعد فراق محبوبته التي آل إليها يقول في هذه الأبيات البليغة:

خَلِيلَيَّ فيما عُشْتما هَــلْ رَأَيْتُمَا قتيلاً بَكَى من حبِّ قــاتـل قلبـــي

[1]– الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، يحي الجبوري، ص 52.

[2]– المصدر نفسه، ص 55.

فإن وُجدت نعلٌ بأرضٍ مُضلّة من الأرضِ يومًا فاعلمي أنَّـهَا نعلي

أبيتُ مع الهلاك وضيقاً لأهلها وأهلي قريبٌ مُوسِعُون ذو فَضْـــلِ[1]

فهنا جميل ابتدأ بكلمة "خليلي" وهي بصيغة المثنى تقليدا للشعراء الجاهلين.

ومن العشاق أيضا مجنون ليلى: قيس بن مزاحم العامري (ت.25هـ) أحب ليلى بنت سعد من بني ربيعة وأحببته، ولما علم الناس بحبهما لامَهُ أهله وحاولوا منعه عنها فامتنع مما أجبرهم على الترحال وفيها يقول:

أرادَا اللهُ مَحْلِكَ في السلامي إلى مَنْ بالحنينِ تشـــوَّقينا

ولستِ وإنْ حَنَنْتُ أشدَّ وجدًا ولكنّي أُسِرُّ وتُعْلِيـــــينـا[2]

ومن شعراء العصر الأموي جرير الذي كثر الحنين والاغتراب في شعره، خاصة الوقوف والبكاء على الأطلال، رغم نبوغه في الهجاء، يقول:

تَبَاعَدَ منْ مزاري أَهْل نَجْدٍ إذا مرّتْ بذي خُشُب ركابــي

غَريبًا عن ديَارِ بني تميمٍ وما يُخزى عَشيرتي اغْترَابي3

وكخلاصة نقول بأنّ الشعر الأموي عبّر عن الغربة بأبعادها الزمانية والمكانية والنفسية.

[1]–أروع ما قيل في الوجدانيات، إميل ناصيف، دار الجيل، بيروت، ط1، 1416هـ–1996م، ص 38.

[2]–المصدر نفسه ، ص 50.

[3]–ديوان جرير، دار بيروت، بيروت، 1406هـ–1986م، ص 29.

الاغتراب في الشعر العباسي:

قلّ شعر الاغتراب والحنين إلى الأوطان في العصر العباسي نسبة إلى العصرين الجاهلي والأموي، وذلك لاستقرار واتساع المدن وانتشار الحضارة واختلاط الشعوب، فكانت بغداد ذرة العواصم وملتقى الثقافات، وأصبحت الحياة المدنية بعيدة عن البداوة التى كانت مصدر الشوق والحنين، ومع ذلك كانت هناك بعض الأصوات التي تحس بالحنين عند الهجرة أو الفراق والبعد طلبا للرزق أو هربا من جور الولاة والسّلاطين.

ومن بين الشعراء العباسيين الذين حنّوا إلى أوطانهم واشتاقوا إلى مرابع صباهم،هو شاعر ابن ميّادة (ت149). الذي يشتاق إلى البادية ويحن إلى حرة ليلى بديار قيس، وقيل لبني عوف من الذّبيان:

أَلَا لَيْتَ شِعْري هل أبيتنّ لَيْلَـةً بحرّة ليلى حيث ربّـــتني أهـلـي

بــلادٌ بها نيطتْ عليّ نمائمــي وقطّعن عنّي حين أدركني عقْـــلي

وهل أسمعنّ الدّهر أصوات هجْمَةٍ تُطالع من هجلٍ خصيب إلى هــجْـل[1]

ويحن أبو حية النميري (ت.82) إلى أرضه وأهله بالغوير ويتمنى أن يسعد مع أحبابه بنسائم بلده:

ألا هل نصّ النواعج بالضُّحـى وشمّ الخُزامي بالغُـويـر سبيلُ

بلاد أمسى الهـوى غير أنّـنـي أمين مع المقدار حيث يميـــل

كما نجد أبو العتاهية الذي اختار الزّهد طريقًا للتعبير عن اغترابه في مجتمع انحلّت فيه الأخلاق، وأقبل فيه الناس على المحرمات دون رادع وفيه يقول:

ألم نرى ريْبَ الدّهر في كل ساعةٍ له عارضٌ فيه المنيّة تــلمـعُ

أيـا بـنيَ الـدُّنيَا، لِـلـغيرك تبتنـــي ويا جامع الدّنيا، لِغَيْرِكَ تَـجْمَـع

أَرَى المَرَى وثابًا على كُلّ فرصةٍ وللمرءِ يومًا لا محالةَ مَصْـرَعُ[2]

[1] الحنين والغربة إلى الأوطان ،يحي الجبوري ،ص103-

[2]- ديوان أبي العتاهية ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت د،ط ،1406ه- 1986ص247

وأبو فراس الحمداني عرف غربة اجتماعية قاسية لما لقاه من جفاء الأهل وخيانة الأصدقاء. يقول:

إلى الله، أشكو عُصبةً من عشيرتي يسِيئُونَ لي في القول غَيبًا ومشهدًا[1]

ويقول أيضا:

غريبٌ وأهْلي حَيْثُ مَا كَرَّ نَاظِري وحيدٌ وحولي رجالٌ عصائـبُ[2]

وعندما يصور غربة الأصدقاء الذين قلّ وفاؤهم. يقول:

ولمّا تخيّرت الأخلاء لـم أجد صبورا على حِـفظ المـــودّة

سليما على طَيّ الزّمان ونشره أمينا على النّجوى صحيحًا على البعد[3]

كما نجد ابن الرّومي يذكر رثاءه، ولوعة الفراق وشفاءه من الفراق، حيث يحزن الشاعر على فقيده وفي رثائه إلى ولده الأوسط:

إنّي وإن متعت بابني بعده لذاكره ما خنت النيب في نجد

وأولادنا مثل الجوارح أيّها فقد كان الفاجع البين الفقد

محمد ما شيء توهم سلوة لقلبي إلا زاد قلبي من الوجد[4]

يبدو أن ابن الرومي من خلال هذه الأبيات موجوع لفراق ولده، فنجد عاطفته نابعة من قلب صادق عرف مرارة فقد الابن، فهو يقارن حنينه الناقة المسنة في نجد أي أنه سوف يذكره إلى أن يموت كانقطاع حنين النوق لفنائها.

كما يرى أبو العلاء المعري أن مصدر غريبه هو علمه وجهل الناس. فيقول:

أولو الفضل في أوطانهم غرباء تشذ وتنأى عنهم القربـاءُ[5]

---

[1]- ديوان أبي الفراس الحمداني، شرحه خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1414هـ-1994م، ص 44.

[2]- المصدر نفسه، ص 85.

[3]-- المصدر نفسه، ص 85.

[4]- أروع ما قيل في الوجدانيات، إميل ناصيف، ص 55

.

[5]- اللزوميات، أبي العلاء المعري، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، ج2، مكتبة الهلال، بيروت، د.ط، ص189

لقد ظهر شعر الاغتراب ابتداء من العصر الجاهلي ثم العصر الإسلامي والأموي إلى غاية العصر العباسي، حيث تميزوا بالجودة والوفرة والقوة وصدق العاطفة.

المبحث الأول: الاغتراب في الشعر الأندلسي منذ الفتح الإسلامي وأسبـاب ذيوعـه.

يعتبر شعر الاغتراب فن من فنون الشعر العربي، ارتبط به منذ القدم، فكان للأندلس نصيب كبير في هذا اللون من الشعر نظرا للظروف القاسية التي تعرض لها الأندلسيون، لكنّه لم يعد مقتصرا على سمات الاتجاه المحافظ الذي عرفناه من قبل فاتسم بسمات جديدة، فأثرت بشكل كبير في نمو الشعر وازدهاره.

فقد عرف الشاعر الأندلسي مظاهر الحنين، وشهد شتى أنواع الغربة فنجده يعاني الشوق وهو في الغربة بعيد عن أهله ووطنه، كما نجده مفجوعا في غيابات السجون خلف القضبان، كما يشكو أشواقه إلى أيام الصبا في أيام الهرم. وهذا ما نلمسه عند ابن الأبار عندما يتذكر أيامه بمسقط رأسه، ويحن إلى تلك الأيام، فيشبه ليلها ونهارها بالكافور والمسك. ويذكر أسحارها، ويندب شبابه الذي قضاه بها، كما يحن إلى ليالي الأنس التي كان ينعم بها. يقول:

ولله أَسْـحَارٌ بِـهَا وأَصَـائِـلٌ كَانْت تُفَضضُ صِبغةً وتُذهـبُ
وكـأنّ كـافورًا ومِسكًا ليلُهَـا ونـهارهَا، ممّا يروقُ ويُعجـبُ
يزدادُ حُسنًا صُبحُها بِروائهَـا ويكادُ يُشرِقُ مـن سِناها الغيْهبُ[1]

أمّا قصيدته العينية فإنّه يعبر فيها عن حنينه إلى الأهل والوطن، مظهرا ألم الفراق والبعد، وقد شتّت الدّهر شمله، وفي المقابل ازدادت حسرته وأحزانه على فراق الأهل والديار. يقول:

يـَا أسفي عَلَى عَدَمِ الهجوع وفُقْدَان الأحبـّة والـرّبـوع
وشملي مزقته يـد الرزايـا لـيُـنظـم بـعددها شملُ الدّموع[2]

[1]- ديوان ابن الأبار، عبد السلام الهراس، مطبعة فضالة (د.ط)، 1420هـ-1999م، ص 60.
[2]- المصدر نفسه، ص 380.

كذلك أبو مروان عبد الملك بن محمد بن شماخ الذي اضطر إلى ترك مدينته اشبيلية، فظل يتحسر عليها ويتلهف لإخبارها، حتى غدا ليأسه في العودة يؤمن بالفأل، غربته أجبرته على البحث عن المجد عند غيرها من المدن. وفيها يقول:

يـَا لَيْتَ شِعْري: هَلْ دَامت لهم حال عهدتها في حفاظ العهد أم مالــوا؟
فإن تكن سائلا عـمـن تركت فقـد شَابَ الشَبَابُ وقد شبّ الأُطْيفَالُ
أرجــو الإيــاب بـفـأل أسـمعـــــه والدّهرُ يفعلُ ما لا يخـبـر الفـال[1]

ومن أروع ما قاله عبد الرحمان الداخل في الشعر الأندلسي معبرا عن اغترابه، مخاطبا النّخلة حيث تشوق إلى مواطن أهله ومراعي صباه. وفيها يقول:

يـا نخـلُ أنتِ غريبةٌ مثلي في الغرب نائيةٌ عن الأصـلِ
فابكـي ، وهـل تبكي مُكبّسَةٌ عـجـمـاءُ لم تُطبعُ على حَبْلِ؟
لــو أنّــها تبكي، إذًا لبكـت ماءُ الـفـرات ومـنْـبتَ النّخـل[2]

وفي أبيات أخرى التي أرسلها إلى أخته بالشّام، حيث يتشوّق إلى معاهده، فركز على الجانب الوجداني، ويبين أن جسمه مقسم بين المشرق والأندلس. وفيها يقول:

أيّهَا الرّاكبُ المُـيـمَّـمُ أَرْضِــي أَقْرَ من بَعْضي السّلامَ لبعضي
إنّ جِسْمِي، كما علمتَ، بأرضٍ وفُـؤَادي ومــالــكيه بـــأرْض[3]

[1]-الشعر في عهد المرابطين والموحدين، محمد مجيد السعيد، دار الراية، دار الراية، ط3 2008 م-1429هـ، ص 248.
2-الشعراء المروانيون في الأندلس ،مصطفى فتحي أبو شارب ،دار المفردات ، (د،ط) ،1419-1999مص161
[3]-المرجع نفسه، ص 168.

فهذا عبد الملك بن بشر بن مروان، يصور نفسه حين استبد به الشوق، وقد تعلق قلبه بمحبوبته التي يتسلى عنها ويتسلها، ولكنّه لم يستطع. فراقها. فيقول:

وبنفْسي من عندها اليوم قلبي علـق فـي حبـالها معمـودُ

كلّما قلتُ قد تناهيـتُ عنــهـا عَادَاني من غَرَامها ما يعُودُ[1]

ولقد كانت مساهمة الرّصافي البلنسيّ في غرض الحنين كبيرة جدا ومنها رائيته المشهورة التي وصف فيها جمال الطبيعة الأندلسية، فجمع بين وصف حنينه إلى بلنسية، ووصف طبيعتها الجميلة. يقول:

بلادي التي رِيشَتْ قُويْديمتي بهـا فُريخا وآوثني قُرارتها وكنْرَا

مبادئ لين العيش في ريق الصّبـا أبى الله أن أنسى لها أبدا ذكرا[2]

ولأبي البقاء الرندي قصيدة بائية رائعة، وهي زاخرة بمشاعر الحنين، حيث استهلها بذكر الغربة عن الوطن. وما ينتج عنها من شعور بالشوق والحنين إليه قائلا:

غريبٌ كلّ ما يلقى غريبًا فلا وطنٌ لديه ولا حبيـبٌ

تذكّر أصله فبكى اشتياقا وليس غريبًا أن يبكي غريب[3]

كما نجد له مقطوعة غزلية، يشكو فيها فِراق المحبوب، ولواعج الشّوق والحنين، ويبدأ ما يقول:

يا سَالِبَ القلب مِنِّي عندما رَمَقّا لم يُبْقِ حُبّكِ لي صَبْرًا ولا رَمَقَا

لا تَسْألْ اليوم عمَّا كابَدَتْ كَبدي لَيْتَ الفِراقَ وليتَ الحبُّ ما خُلِقَ[4]

---

[1]-المرجع السابق، ص 183.

[2]-ديوان الرصافي البلنسي، أبو عبد الله محمد بن غالب، تحقيق إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط2، 1403هـ، ص 183.

[3]-الحنين في الشعر الأندلسي في القرن السابع الهجري، محمد أحمد دقالي، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2008، ص 183.

[4]- المصدر نفسه، ص 70.

وهذه الأبيات لأبي المطرف بن عميرة المخزومي، يشعر فيها بالغربة في نفسه حين يتذكر موطنه، حيث جمع فيها بين الحنين والشّوق إلى الماضي. يقول:

تذكر عهد الشّرق والشّرق شاسعٌ وذاب أسي للبرق والبرق لامعٌ
وأتبع ذكر الجوع أنّه موجعٌ له أبدًا قلب إلى الجزع جازعٌ
كفى حزنًا عن الأهل بعدما نأينا عن الأوطان فهي بلاقاع
نوى غربة حتّى بمنزل غربة لقد وضع البين الذي هو صانع[1]

ونجد ابن زيدون، وهو يتذكر محبوبته عند وقوفه على الأطلال الخالية من الأنس والأنيس، ويذكرها في المدن المتميزة بالخضرة والبهاء كمدينة الزهراء إلى أن يسلو وينسي، ولكنه يتذكرها في خضم تمتعه بمناهج النفس والنظر، حيث يقول:

إنّي ذكرتُكِ بالزّهْرَاءِ مُشتاقًا والأُفْقُ طلقٌ ومرأى الأرضِ قد راقَا
وللنَّسيم اعْتلاَلٌ، في أصائِلِه، كأنّهُ رقّ لي فاعْتَلّ إِشْفاقَا
كلٌّ يهيج لنا ذِكرى تُشَوّقنَا إليكم لم يعد عنها الصدر إن ضاقا[2]

وممّا يثير الحنين لدى الشعراء، زيارة طيف المحبوبة ليلا. يقول ابن خفاجة:

سَمَحَ الخيالُ عَلَى النوى بمَزَار والصُّبْحُ يَمْسَحُ عن جَبِين نَهَارِ
فرفعتُ من ناري لضيفٍ طارقٍ يعشو إليها من كخيالٍ طاري[3]

إنّ زيارة الطّيف ليلا، من المعاني المطروقة في الشعر العربي عموما ولكن ابن خفاجة طبعها بطابع شعره مستعملا التشبيهات والصور.

ومن القصص الذّائعة في كتب الأدب، مأساة المعتمد بن عباد الأمير الذي سلبه المرابطون ملكه ونفوه إلى أغمات بالمغرب، فكان شعره في السجن يعبر عن

[1] - الحنين في الشعر الأندلسي ، محمد أحمد دقالي ص380
[2] -ديوان ابن زيدون، شرح يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1415هـ-1994م ص 194.
[3] -ديوان ابن خفاجة، تحقيق عبد الله سندة، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1427هـ-2006، ص 148.

شوقه للحرية ولأيامه الماضية يرثى فيها نفسه وهو حي ويرثى ملكه الذاهب. إذ يقول:

غريبٌ بأرض المَغْرِبَيْنِ أسيرُ سيبكي عليه مِنْبَرُ وَسَرِير
وتَنْدِبُه البيضُ الصّوارمُ والقنا وينهلّ دمعٌ بينهنّ غزير[1]

وقد تسبب اضطراب الأحوال في الأندلس في عهد ملوك الطوائف في هجرة بعض الأندلسيين إلى المشرق، منهم أبو بكر بن قاسم المعروف بأسكهباط. الذي يقول:

أينَ أقضي الغَرْبَ عن أرضِ حَلَبْ أمل في الغَرْبِ موصولُ العتبْ
حَنَّ مِن شَوقٍ إلى أوْطَانِه من جفاه صَبْرُهُ لما اغْتَرب
جمال في الأرض لجاجًا حائرًا بين شوق وعناءٍ ونَصَب[2]

قال الشاعر أبياته حين مر بمدينة حلب بالشام وهي مدينة على قدر من التحضر في زمانه، ولكنّه رأى فيها ما ذكّر وحرك أشواقه فجعل يشكوا حيرته، وطول عنائه وغربته في بلد لا يعرف فيها أحد.

رحل نفر غير قليل من الأندلسيين إلى المشرق يطلبون العلم، فكانت نفوسهم تنازعهم بين ما يصبون إليه من طلب العلم، وبين الوطن الأثير ليدهم، منهم عبد الملك بن حبيب السلمي الذي وصف حاله يقول:

أحبُّ بلادَ الغَرْبِ والغَرْبُ مَوْطِني ألا كل غربيٌّ إليَّ حبيب
فيا جَسَدًا أضْنَاهُ شوقٌ كأنّهُ إذا انتُضيتُ عنه الثّيابُ قَضيب
وأهْلي بأقْصى مغرِب الشّمس دارُهُم بحر أجش مهيبُ

[1]- ديوان المعتمد بن عباد، تحقيق حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1997، ص 92.

فـما الـدّاءُ إلا أن تـكـون بـغُـرْبَـــةٍ وحَسْبُكَ داءً أن يقال غَريــبٌ[1]

يصرح بحبّه لبلاده ولحبّه لها، فقد أحب كل ما ينسب إلى جهة الغرب، وقد أضناه الشّوق حتى صار جسمه نحيلا كالقضيب.

***أسباب ذيوعه:**

هنالك عدة أسباب شهدت في ازدهار الاغتراب في الشعر الأندلسي منها الاضطرابات الداخلية والخارجية نتيجة الحروب، أيضا العوامل النفسية الخاصة بالمجتمع الأندلسي لأن الأندلسي كان شديدٌ بتعلق بوطنه الأم، وأخرى تتعلق بالشعراء وتجربتهم النفسية.

لقد شهدت بلاد الأندلس أحداثا تاريخية وسياسية أثرت على الحياة الاجتماعية، فعرفت الحروب ضد الإنسان، كما مرّ الحكم الأندلسي بمجموعة من الدول، فتميّز الأندلسيون حكمهم بين القوة والازدهار، وبين التخاذل والضعف، خاصة بعد موقعة العقاب سنة 609هـ التي هزم فيها الموحدون التي كانت الأندلس خاضعة لحكمهم وسلطانهم، وأخذت المدن الأندلسية تتساقط مدينة اثرى أخرى واضطر الأندلسيون إلى الهجرة من ديارهم ومواجهة الفتن تاركين الوطن الذي ولدوا فيه، مما أدى إلى تفرق شمل كثير من الأسر.

كل هذا جعل الأندلسيون يبكون ويشكون حال بلادهم ويعيشون محنة اغتراب مريرة ترددت أصداؤها في أشعارهم وإذا أردنا أن نحصر أهم عوامل الغربة في الشعر الأندلسي، فإننا نجدها تتمثل أساسا في عامل الرحلة، الاعتقال والإبعاد، سقوط المدن والمماليك.

ولعل أول الأسباب ذيوع شعر الاغتراب في الشعر الأندلسي هو الرحلة.

[1] دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، الطاهر أحمد المكي، دار المعارف، ط3،1987ص210

***الرّحلـة:**

نزلت الرحلة في الأدب الحديث منزلة رفيعة، وأصبحت فنا من الفنون الشائعة في معظمهم بلدان العالم. وقد ساعد على ازدهارها اختلاط الشعوب، وسهولة المواصلات، وحب الاطلاع، ومعرفة ما في العالم من عادات وأخلاق، فالرحلة أدب شائق، شديد الإثارة، رحب الأفق وقد عرفه العرب قديما.

فالرحلة في الشعر تبدأ في أغلب الأعم في قصائد الجاهلية، بمقدمات مختلفة، فقد تكون بكاء على الدّيار، ووقوف عليها، أو غزلا بالأحباب وحنينا إليهم، أو وصف للطيف الطارق وما يطويه من الأرض، أو واصف للظعائن.....يتلخص الشاعر منها إلى ناقته التي ضربت في المفاوز واعتسفت الفلوات والقفار، ليخرج إلى المديح أو غيره.

فالرحلة في الشعر إمّا رحلة الشاعر على ناقته وإمّا رحلة الظعائن أمامه.[1]

لقد كانت الرحلة في الشعر الأندلسي أثر عميق في قلوب المهاجرين، فهم لم ينسوا أرضهم وعائلاتهم، وحلمهم بالعودة إلى الوطن دائم ظل يراودهم في اليقظة، كما في المنام، فما أقسى شعور النازح المغترب، وما أفجع الشوق المفارق الراحل عن أرض أهله لى أرض بعيدة التي شبّ فيها.

وهذا ما عرفه الشاعر الأندلسي ابن الزّقّاق في قوله:

حَنَنْتُ إلى الدّيَار، ولي حنينٌ إلى الأحبابِ، ليسَ إلى الرُّبوع

ولو أنِّى أحِنّ إلى مغَانِـي أحبـّائــي حَـنَنْتُ إلى ضُلوعِـي[2]

[1]-المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1419هـ-1999م، ص 476-477.

[2]-المنازل والديار، أسامة بن منقد، تحقيق مصطفى حجازي، دار سعاد الصباح، القاهرة، ط1، 1413هـ-1992م، ص 66.

وقال أبو بكر، المعروف بابن اللبانة ، في نكبة آل عبّاد أرباب الأندلس،وكان تغلبَ عليهم يوسف بن تاشفين وملك بلادهم ، وكانوا محسنين إلى أهل العلم وإلى هذا الشاعر، وفيها يبكي الشاعر ويتأسف على أيامه التي شب فيها وهذا في قوله:

قصورٌ خلت من ساكنيها فما بها سوى الأدم تمشي حول واقفة الدّمى
بكيتك حتى لم يُخلّ لي أسى دموعًا بها أبى عليك ولا دما
وإنّي على رسمي مقيمٌ، فإن أمُت سأترُكُ للباكين رسمي مَوْسِمَا[1]

وفي مظاهر الحنين في الشعر الأندلسي أنواع، فالبوح بمشاعر الشاعر من خلال ما نظمه كان متعدد السياقات إلاّ أنّ الحنين ظلّ مألوفا غير متغير لدى الشّعراء لأنهم عرفوا معاناة الارتحال، كما هو حال ابن سعيد الذي برع في شعر الحنين فهو يشكوا حنينه في هذه الأبيات من إحدى قصائد حنينه إلى دياره:

أقلقه وجدُهُ فَباحا وزاد تبريحُهُ فَناحا
ورام يثني الدّموعَ لمّا جرتْ فزادت له جماحا
كم قد بكى الحَمام كلّما يعيرَه نحوها جَناحا[2]

فهذه الأبيات قالها الشاعر وهو بمرسية شرق الأندلس وهو يصور معاناته لفراق اشبيلية. فمن شدة الشوق لم يكبح جماح دموعه، فهو يرى الموت بعينيه كل ساعة بعيدا عن وطنه.

كما نجد ابن عميرة المخزومي الذي هاجر إلى المغرب ومنها إلى إفريقية فعانى ألم الفراق، ولوعة الحنين إلى الوطن، انعكس ذلك الحنين في شعره كثيرا مصورا ما ينتابه خارج الوطن من أشجان وعبرات تختنق أنفاسه على شاكلة قوله:

وهَلْ غَيْرُ صبٍّ مَا ثَنَي عبراته إذا صُعِدت أنفاسه تحتدر
يحن وما يجدي عليه حنينه إلى أربُعٍ معروفها متنكر

[1]-المصدر السابق، ص 286.
[2]-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري، ج2، ص 307.

ويـنـدبُ عـهـدًا بـالـمـشقر فاللّـوَى وأيْـنَ اللـّوى منْهُ، وأيْـنَ الـمَـشْـقَـرُ[1]

ومن الشعراء الذي عبّر عن حنينه إلى الوطن من خلال شكوى الدّهر "ابن الجنان" الذي لم يكن أمامه إلاّ الهجرة. فقد هاجر من مدينته مرسية بعد الأحداث التي حلّت بشرق الأندلس، وفي غربته جاء حنينه صادقا ومعبرا عن الألم والحزن على فراقه وبعده عن وطنه. حيث يقول:

إلى اللهِ أشْكُوا مَا جَنَى البَين والنّوَى ومَا قَدْ نَوَى الدّهْرُ يُصَرِحُ بالحِقْدِ

ويَا حَبَذَا الأَوْطَانِ بالكُره فَوَرَقَـت لِجُور الجَوَار الكُفْر والزَّمَن الوَغْدِ[2]

وابن الآبار الذي أرسل على رأس وفد إلى حاكم تونس للاستنجاد به لإنقاذ بلنسية هو الآخر لم ينس وطنه الكبير. فتحسر على ما حلّ بها. فأظهر حنينه المليء بالاستصراخ، وإثارة تلك المشاعر. منها قوله:

يا للجزيرة أضحى أهلها جـزرًا للحادثـات وأمسى جدها تعسًـا

لَهْفِي عَلَيْهَا إلى استرجاع فائتها مدارسا للمثاني أصبحت درسًـا[3]

وفيما وجدناه في قول "ابن جبير" صاحب الرحلة المشهورة الذي روي أنه "دخل بغداد فاقتطع غصنا نضيرًا من أحد بساتينها فذوى، أي ذبل في يده فقال مظهرها شوقه وحنينه إلى الوطن:

لاَ تَغْتَرِب عَنْ وطـنٍ وأذكـر تَـصَـاريفَ النَّـوى

مّا تَرَى الغُصْـنَ إذَا مَــا فَـارَقَ الأصْـــلَ ذَوَى

إنّه إحساس الصادق بحب الوطن والانتماء جعل من الشاعر الأندلسي يحرص على ذكره ويحنّ إليها.

---

[1]- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط3، 1987، ص 210

[2]- ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي، شاعر المديح النبوي، تحقيق منجد مصطفى بهجت، د.ط، 1410هـ-1990م، ص 100.

[3] - ديوان ابن الأبار، عبد السلام الهراس، مطبعة فضالة (د.ط)، 1420هـ-1999م، ص 206. -

***سقوط المدن الأندلسية:**

شهدت بلاد الأندلس سلسلة من الحروب الضاربة، وتوالت عليها النكبات والفتن، خاصة بعد سقوط الدولة الأموية في الأندلس، وتوالت بعدها سقوط المدن الأندلسية على يد الإسبان الواحدة تلوى الأخرى.

لقد كان الحنين في شعر المغتربين مرتبطا بذكر الأوطان والحنين إليها إلى الحبيب والزوجة والأولاد والوالدين والأقارب، فموضوع الاغتراب كان سمة بارزة عند هؤلاء الشعراء المغتربين، فقد أثر سقوط المدن الأندلسية والخروج من ترابها وبين مدنها أو خارجها أثرا بالغا في نفوس الشعراء، ولهذا نجد هؤلاء الشعراء تفننوا في وصف مشاعر الشوق والحنين والاغتراب.

وهذا نتيجة معايشتهم لظروف الغربة والابتعاد عن الديار والأهل.

ونجد من الشعراء الذين عانوا تجربة الغربة ابن حربون، فوصف ما كان يصطدم في نفسه من مشاعر الشوق والحنين إلى دياره.

للهِ مَـا هـَاج لَمْع البَارِقُ السَـارِي عَلَى فُؤَاد غَريب نازِح الـدَار

وَطَنِي فَأَيْنَ تلك الربى والساكنون وأيْنَ فيها عشياتي وأسْحَـارِي

بِـهَـا مَـا للزمَانِ ألا حر ينهـه يفـري أديمِي بأَنْيَاب وأظفـار[1]

وهذه الأبيات تعبر عن أحاسيس الشاعر المغترب الذي فجع بضياع وطنه وعاني من التشتت والاغتراب.

ومن الذين رثوا الأندلس نجد أبو الحسن أبو الحاج في مخمسة يرثى فيها ابن صمادح ويندب الأندلس زمن الفتنة في أبيات تظهر مدى حبه لوطنه وألمه على ما يصيبه من أهوال الدّهر وشماتة الأعداء. ويقول:

[1]- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، فوزي عيسى، دار الوفاء، ط1، 2008، ص 156.
2 - نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج، ص 104.

مَنْ لِي بِمَجْبُول عَلَى ظُلْم صحف في أحكامه جاء الجُور

مر بنا يسحب أديال الحفر ما أحسد الظبي لــه إذا نـفـر[1]

وأسبه الغصن به إذا خطر

كافورة قد طرزت بمسك جَوْهَرة لم تمتهن بسلــك

ويقول ابن الأبار البلنسي الذي تأثر بهلاك بلدته بلنسية التي شهد مأساتها وسقوطها:

ملكت جوارحه عليه جِراحـهُ فــشـفـاؤه لا يُرتجى وســراحهُ

عار لأبكارِ الخُطوب وعونها غضيت موارده وهيض جناحهُ

حسرا العمامة حسرة لعمومها بلــوى أشاد بشكوها إفصاحــه[2]

وتمثلت بلنسية في وجدان شاعر آخر هو محمد بن غالب الرصافي تمثلا جعلها بكل معالمها ومعاهدها، تعيش بين جوانحه، معبرا عن المعاناة المريرة التي كان يلقاها، وهو مغترب في قوله:

يـا مــا حــبّ على النّوى ولأنتمــا أخوا هواي وحبذا الأخوان

خوضا إلى الوطن البعيد جوانحي إن القلوب مواطن الأوطان

ذكر المقري أن من أول ما استرد الإفرنج من مدن الأندلس[3] العظيمة، مدينة طليطلة، إذ استولى عليها ألفونسو عام 478هـ، وكان سقوطها في أيدي النصارى مُصابا جَللاً، وقد رثاها شاعر مجهول بقصيدة طويلة منها قوله:

طـليـطـلـة أبـاح الـكُـفـرُ مـنـهـا حـمـاهـا إن ذا نـبـأٌ كـبـيــر

وكــات دار إيــمــان وعــلــــم مـعـالـمها التي طمست تُنير

فـعادت دار كُـفـر مـصـطـفاة قد اضطربت بأهليها الأمـور

[1]- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج، ص 104.

[2]- ديوان ابن الأبار، ص 140.

[3]- ديوان الرضا في البلنسي، أبو عبد الله محمد بن غالب، تحقيق إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط2، 1403هـ ص 12.

مساجدها كنائس أي قلب على هذا يقرّ ولا يطير
فيا أسفاه يا أسفاه حزنا يكدّر ما تكدرت الدّهور[1]

يتحسر الشاعر على مدينة طليطلة التي كانت دارا يعمرها المسلمون بالعلم فصارت تتبع النصارى وحولت مساجدها إلى كنائس، ويؤكد إحساسه بالحسرة. وهذا ما تدل عليه كلمة "يا أسفاه".

***الاعتقال والإبعاد:**

لقد عرف الشعراء الأندلسيين مرارة الغربة والحنين إلى أوطانهم بسبب فقدانهم حريتهم والبعد عن أوطانهم، فأسر الكثير منهم في السجون والمتعقلات.

وتعد السياسة السبب الرئيسي من أسباب السجن، فخلفت آثار الحسد والدسائس والمؤامرات، أو إلى السجن في المنفى.....التي تطيح بصاحبها فتجعله مهمشا بعيدا عن أوطانه.

ومن الشعراء الذين أسروا في السجون بعيدا عن ديارهم وأهليهم، فكانت المرارة تكاد تقتلهم فكم كانت حاجتهم للأنس وشعورهم بالفقد عارم نجد أبا الأصبع عيسى بن الحسن. يقول في طول سجنه:

لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ البلادُ الـ إنسُ والوحش والسّمَا والماءُ
طَالَ عَهْدِي عَنْ كُلُ ذاك، وليلي ونَـهَـاري فِي مُقْلَتي سـواء
وإذا مـا جَنَـحْـتُ فِـيهِ لأُنْـسٍ أَوْحَـشَـتِنِـي بأُنْسِهَا الأغْبِيَـاءُ[2]

[1]-نفح الطيب المقري، ج2، ص 68.
[2]-المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، 2009، ص122.

وفي قصيدة لابن الأبار نجده أيضًا يحن إلى أيام الشباب، متحسرا عن سعادة أيامه الذاهبة، متذكرا صباه، وتلك الأيام التي كان يشبب فيها بالحسان بين الرياض، وحيث النسيم العليل. يقول:

هَلْ تَرْجِعُ الأيّامُ عَصْرَ شبيبة ... مازِلتُ فِيهَا بالحِسان أشْبّب

حَيْثُ النَّسِيمُ بما يَمُرّ عَلَيْه من ... حُقّ الرّيَاضِ مُضْمخٌ ومطيبٌ

أيَّام يُرسِلُ من شبابي أدْهمٌ ... أرنٌ ويُشْكل من مشيبي أشْهبُ[1]

ومن الشعراء الذين ذاقوا مرارة الانقلاب الحكام عليهم لأسباب غير سياسية، يحي بن الحكم البكري الجيابي، وأصله من جيّان، ويلقب بالغزال، وكان الأمير عبد الرحمن بن الحكم قد ولاه قبض الأعشار، ولما طالبه الخليفة بما جمع امتنع الغزال عن الدفع.

إنْ تُرِد المَالَ فإنّي امرؤٌ ... لم أجمع المالَ وَلَمْ أَكْسَبِ

إذا أخذْتَ الحَقّ مِنّي فَلَا ... تَلْتَمس الرّبح ولا تَرْغَب

قد أَحْسَن الله إلَيْنا معًا ... إنْ كان رأسُ المال لم يَذْهَبِ[2]

وقد ترتب على هذه القصيدة أن عفا عنه الأمير، وقرّبه إليه مرة أخرى، فولاه مهمة جليلة، وأهم هذه المناصب سفارته إلى ملوك الدول المجاورة.

ومن الشعراء الأندلسيين الذين زُجَّ بهم في المعتقلات والسّجون لأسباب سياسية، الشاعر الأندلسي جعفر بن عثمان المصحفي، فكانت مؤامرة دبرت له من قبل بعض الوزراء الذين تنكروا له وجحدوا فضائله، فتوجع لما حل به وكتب إليهم يواسي نفسه:

أحِنُّ إلى أَنْفَاسِكُم فأظُنّهَا ... بواعثُ نَفْسِي الحَيَاة إلى نَفْسِي

وإنّ زمانًا صِرْتُ فيه مُقيّدًا ... لأثْقلُ من رَضْوَى وأضْيقُ من رَمْسِ

[1]-الديوان لابن الأبار، ص 62.

[2]-الفتن والنّكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي، فاضل فتحي محمد والي، دار الأندلس، ط1، 1417هـ-1996م، ص 36.

ولمّا أمر ابن أبي عامر بإعادة المصحفي إلى السجن مرة أخرى أسرعت إليه شجونه. وقال معزّيا نفسه:

أُجَازِي فِي الزّمَانِ عَلَى حاله مُـجَـازَاةَ نَـفْـسِـي لأنفَاسِهَـا

إذَا نَـفْسٌ صَـاعِـدٌ شـفَّـهَـــا تَـوَارَثَ بِه دُونَ جُلاَّسهـا

وإنْ عَـكَـفَـتْ نَـكْبَةٌ للزّمـــان عَـطَفتُ بِنَفْسِي على رَاسِهَا[1]

وهكذا نجد أنّ شعر الاغتراب في الأندلس قد تطور خلال رحلته الزمنية تلك، وازدهر وبلغ أوجه في القرن الهجريّ السابع، نتيجة ما واكبه الشاعر من أحداث سياسية واجتماعية، فأصبح شعر الاغتراب مرآة تعكس واقع الأندلسي عامة.

[1]-المرجع السابق ، ص 77.

المبحث الثاني:تجلياته في الشعر الأندلسي في العصر الغرناطي

حفل شعر الاغتراب في العصر الغرناطي علي العديد من المواقف الانسانية السامية ،التي عبرت عن الفرد الغرناطي، وما عاناه بسبب مرارة الفراق والبعد عن أرض الوطن، فعبر شعراء الأندلس عن احساسهم بالغربة عن الوطن والحنين إليه بأساليب متنوعة وحسب مقتضى الحال.

يقول أبو الحجاج يوسف سعيد بن حسان:

أحنُ إلى غَرْنَاطَة كُلَّمَا هَفَتْ نَسِيمُ الصِّبَا تَهْدِي الجوي والتشُوقُ

سقي اللهُ منْ غَرْناطَة كل منهلٍ بمَنْهل سُحب ماؤهـــــنَّ هريـــق

أغرناطة العلياء بالله خبِّري الهائِم الباكي إليك طريـــــــــــقُ

وما شَاَقنِي إلاَّ نُظـَارَةُ مَنْظَرٍ وَبَهْجَـةُ العُـــــيون تـــــرُوقُ[1]

يحن الشاعر إلى مدينته فيدعوا عواليها بالسقيا ، ويسألها هل من سبيل إلى عودته إليها،فقد اشتد شوقه لمناظرها الخلابة و بهجة واديها.

و الشاعر الملك "يوسف الثالث " كان أشد بكاء و ألما على فراق غرناطة حين أبعد عنها فنجده متشوقا الى وطنه في هذه الأبيات :

وَأضْحَى الفُؤَادُ بِسَيْفِ البِينِ مَجْرُوحًا وَمَدْمَعُ العَيْنِ فَوْقَ الخَدِ مَسْفُـوح

لـمْ يبرحْ الكلفُ ببعـــــــــــدكـمْ كأنـه جسدٌ مـنَ البُعـد فـي قلب

اطَـــالَ اغترَابِي عنْ أهلٍ وعنْ وطن وسَامَنِي زَمَنِي وجـــدًا تـبريـحـا[2]

الشاعر وحنينه واضحان من خلال هذه الأبيات ، وقد كان من أبي الحسن بن أحمد بن سليمان "ابن فركون " أشعارا تجملت وتزينت بوصف الحنين إلى الديار .

---

[1] - *ديوان يوسف الثالث ، ملك غرناطة ، تحقيق عبد الله كنون ،معهد مولاي الحسن ،تطوان،ص**60***

[2]- المصدر نفسه ص 130

وقد رافق يوسف الثالث الشاعر"ابن فركون" في خروجهما من غرناطة وتعرض لما تعرض له الملك يوسف الثالث من بعد الحرمان من الوطن ، يقول ابن فركون:

هَلْ بَعد طُولِ تَغَرُبي وفِرَاقِي أَرْجو اللّقاءَ ولات حِينَ تلا ق
لَمَا رَحَلْتُ عَنْ المَنَازِلِ لَمْ يَزَلِ سكني الغَرَامُ بِقَلْبِي الخَفَاقِ
هِيَ دَارُ أَحْبَابِي وَمَوْضِعُ صَبْوَتِي وَمَحَلُ جِيرَانِي وَرَفْعُ رِفَاقِي
جَار الزَمَان بِبُعْدِكُمْ وَلَعَلَهُ يَوْمًا يَجُودُ بِعَادَة الإِشْفَاقِ[1]

فابن فركون في هذه الأبيات يشكو أشواقه، وآلامه فهو يحن إلى أرضه عليها من أهل وأحباب ،كما يعلن أيضا أن بلاد الله واسعة ليس بإمكانها أن تحويه وتنسيه وطنه أو تعوضه عنه .

وفي مظاهر الحنين في الشعر الأندلسي أنواع ،فالبوح بمشاعر الشاعر من خلال نظمه كان متعدد السياقات إلاّ أن الحنين ظل مألوفا غير متغير لدى الشعراء لأنّهم عرفوا معاناة الارتحال كما هو حال ابن سعيد الذي برع في الشعر الاغتراب فهو يشكو حنينه في هذه الأبيات إلى دياره :

يَا نَسِيمًا مِنْ نَحْو تِلْكَ النَوَاحِي كَيْفَ بِاللهِ نُورُ تِلْكَ البِطَاحِ
أَسْقَتْهَا الغَمَامُ ريًّا فَلاَحَتْ فِي رِدَاء وَمِنْزَرٍ وَوِشَاحِ
يَا زَمَانِي بِالحَاجِبِيَةِ إِنِي لَسْتُ مِنْ سكر مَا سَقِيتُ بِصَاحِي
آهٍ مِمَا لَقِيتُ بَعْدَكِ مِنْ هَ مٍ وَشَوْقٍ وَغُرْبَةٍ وَانْتِزَاحٍ[2]

وفيها يتشوق إلى الجزيرة الحضراء،تلك المدينة التي انتقل إليها برفقة والده الذي ولاه ابن هود عليها.

[1]- الحنين في الشعر الأندلسي ، محمد أحمد دقالي ، ص 207.
[2]- نفح الطيب ، المقري شهاب الدين أحمد ، ج3، ص 17

كما نجد له أبيات أخري تعبر عن عمق إحساس الشاعر بالحنين إلى الوطن ،وإن كان يتظاهر بالصبر وإظهار السابقة ولمقاومة الحنين والشوق إلى الوطن ،يقول:

فَإنْ كُنْتُ فِي أَرْضِ التَغرُب غَارِباً فَسَوْفَ تَرَانِي طَالِعًا فَوْقَ غَارِب
فَصِمْصَام عمرٍوَحِينَ فَارَقَ كـــفَهُ رَمُوه وَلاَذنب لِعَجْزِ الـمَـضَارِبِ
وَمَا عَزَهُ الضِرْغَامُ إلاَ عَـــــرِينه وَمِنْ مَكَه سَادَتْ لؤي بنُ غَـالِبِ[1]

وهكذا لقد كانت ظاهرة الحنين بارزة عند الشاعر الأندلسي فقد عبرت أبياته عن مدى تعلق الأندلسي بأرض وطنه ،بدءا من مسقط رأسه وصولا إلى الوطن الأم.

وقال أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي ، يحن فيها إلى ربوع بلنسية بعد سقوطها ورحيله عنها ،ويندب عهدا بالمشرق واللّوى :

يَحِنُ وَمَا يُجْدِي عَلَيه حَنِينه إلَى أَرْبُعٍ مَعْرُوفِهَا مُتَنَكِر
وَيَنْدُبُ عَهْدًا بِالمَشْقَر فَأللّوَى وأين اللّوى مِنْه وَأَيْنَ المَشْقَرُ
تَغَيَرَ ذَاكَ العَهْدُ بَعْدِي وَأَهْلُه وَمَنْ ذَا عَلَى الأَيَامِ لاَ يَتَغَيَرُ[2]

هنا افتتح الشاعر حنينه إلى ربوع بلنسية التى ارتحل عنها بسبب سقوطها بيد الاسبان ،فتغيرت معالمها، فيذكر منها اللّوى والمشقر ويبكى ويتألم على ما حل بها.

ومن الشعراء الأندلسيين الذي ذاقوا مرارة الغربة في عصر سيادة غرناطة في السجن هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الصريحي ، المعروف "بابن زمرك"، ومما نظمه في منفاه يتشوق ويحن إلى غرناطة :

أَعِـنْـدَكُم أنـنّي بـفـاسٍ أُكَابِـدُ الـشَـوْقَ وَالـحَـــــنِيـنَ
أَذْكُـرَ أَهْـلِي بِـهَا وَنَاسِـي وَالـيَـوْمَ فِـي الـطُـولِ كَالسِـنِيـنِ

[1]- المصدرالسابق ،ج2 ، ص 391.
[2]- نفح الطيب ، المقري شهاب الدين أحمد ،ج4، ص4

اللـهُ حَـسْبِي فَكَم أُقَاسِـي مِـنَ الـوِحْـشَـةِ الـصَبِّ وَالبَنِيـنِ
وَالدَّمْعُ قَدْ لَجَ فِي انْسِجَام وَقَـدْ وَهَى عَـقْـدُهُ النَظِـــيـمُ[1]

هنّا الشاعر يكابده الشوق إلى وطنه غرناطة ،فيشكوا إلى الله المعاناة والقسوة التي يشعر بها.

ومن شعراء الأندلس الذين ذاقوا مرارة السجن والأسر والابعاد عن الوطن ،الشاعر عبد الكريم القيسي ،فنظم الكثير من الشعر عبر من خلاله عن شوقه إلي أهله وأحبته وأهله :

وَدَعِ الحَنِينَ لِبَسْطَةٍ وَ رُبُوعِـهَا إِنَّ الحَـنِـيـنَ بَـهِـيـجُ مِـنْـكَ عَـلِـيـــلاَ
حَيْثُ الجَدَاوِلُ مَاؤُهَا مُتَفَـــجِرٌ أَضْـحَـي الصَـغِـيـرُ بِـهَـا يَـفُـوقُ النِـيلاَ
حَيْثُ البِطَاحُ كَأَنَهَا صُحُفٌ بَدَتْ تَـهْـفُـوا وَالـجُـفُـونُ بِـحُـسْـنِـهَا التَكْحِيلاَ
حَيْثُ الظِلاَلُ تَوَافَرت وَتَفَيَـــأَت بِـجِـوَارِهَا تَـهْـوَي الـنُّـفُـوس مَـقِـيــلاَ[2]

لقد أبدع القيسي في وصف مدينته بسطة بأراضيها الواسعة ،والجداول الصافية ،وترابها كأنه حبات اللؤلؤ المتناثرة ،هذه هي بسطة في نظر ابنها القيسي فكيف سيكون حاله بعيدا عنها وأين ؟ في السجن حيث وصفه بدار الكفر يقول :

فِي دَارِ كُفْرٍ أَظْلَمَتْ أَرْجَاؤُهَا حَتَي تَبَدَتْ لِلْعَيَان ظَلَامَا
فِي قَعْرِ بَيْت غُولَهُ مَجْمُوعَـةٌ والهام فيه قَدْ أَجَاب الهَامَ[3]

لقد سجن القيسي في قعر دار مظلمة سوداء تبعث على الخوف في النفوس ، وهذه الدار تحت الأرض لا يري فيها إلا كل شيء مخيف كالغليان .

---

[1]- المصدر نفسه ،ج7، ص245.

1--ديوان عبد الكريم القيسى ، تحقيق جمعة شيخة ، محمد الهادي الطرابلسي ، بيت الحكمة ، قرطاج ،1988ص101-0102

[3]- المصدر نفسه ، ص102

يعتبر الشاعر القيسي مثالا حيا لحياة الأسر والسجن والقيود وما يتعرض له السجين من الارهاق والأشغال الشاقة ، والمعاملة السيئة التي يعامل به السجين ومنها :

وَبِجَامِعٍ جُمِعَت يَدَايَ وقُرْمَة مَنَعَتْ قِيَامي إن أَرَدْت قِيَامَا

وَالشَبُ وَالإِبْرِيقُ كُلٌ مِنْهُمَا نُصْبَ العَيَانِ بِجَانِبي قَدْ قَامَ[1]

فهنا يصف الشاعر سوء المعاملة في السجن ،حيث كانت القيود التي قيد بها القيسي أعتى وأشد من أي القيود.

ومن غادر الأندلس ، وعاش ظروفا قاسية بعيدا عن وطنه ،هو الشاعر لسان الدين بن الخطيب ،فهو يتشوق إلى وطنه غرناطة بعد أن اضطرته الظروف القاسية إلى الخروج منها فراراً من مصيره المحتوم حين تغير عليه سلطانه ،فها هويسأل الديار الموحشة ويحيّيها فلا تجيبه ،ويتلهف إلى العودة،ويقول :

مَا لِلحمَى بعد الأحِبَة مُوحشًا وَلـكـم تـرَاءى أهـلاً مَـأنـوسَـا

وَلِسِرْبِه حَوْلَ الخميلَةِ نافـرًا عَـمَّـنْ يُـحِـسُ وكان أَنِـيـسَـا

وَلِظِلِـه المورُودِ غمرُ قليبهِ لا يـقـتـضي وردًاولا تَعْرِيسَا

أترى يعيد الدهر عهدًاالصبا دَرَسْتْ مَغَاني الأنْسِ فيه دُرُوسَا

أوطانُ أوطارٍتعوض أفقـها من رونق البشر البهيّ عَبُوسَا[2]

يتساءل الشاعر عن الديار التي أصبحت موحشة بعد أن غادرها،حين خرج إلى البلاد العدوة ،بعد أن كانت هذه الديار عامرة تجمعة وأهله و أحبته فهو يحاول أن يخاطب تلك الديار سائلا عن تغير الاحوال ،لكن صدى صوته يرتد مخبراأن الحال لا فرق بينهما فهو يأمل أن يعود من جديد إلى الأيام الخالية حيث جمعته بأحبته وأهله .وأن يعود من جديد إلى وطنه .

[1]- المصدر نفسه ،ص103

[2]-نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب ، المقري ،ج6،ص196

وله يقول متشوقا إلى معاهده في الأندلس بعد أن حل بمدينة سلا :

بِلاَدِي التِي عاطيْتُ مَشْمُولَةَ الهَوَى بـأَكْنـافِها والعَيْشُ فينان مُخْضِرٌ

نَبَتْ بِـي لا عـن جَـفْـوَةٌ ومُـلَامَـةٌ ولا نسخ الوَصْل الهني بها هَجْرُ

ولـكنـّها الدُّنْيَـا قَـلِـيـلٌ مـتـاعُـهَا وَلَـذَاتُـهَـا دأبًـا نـزُور وتـَزُورُ

قد بـدرت الدمـوعُ يـدي النـوى وللـشـوق أشـجـانٌ يضيف لها[1]

هنا يتغني الشاعر الخطيب بجمال الطبيعة في بلده غرناطة خاصة والأندلس عامة ،فيسأل هل يمكن أن تتحقق له العودة ، ويبين الشاعر أنّه بكى على فراق وطنه دموعا سخية ، وأن شوقه إلى وطنه سبب له آلاما في صدره.

وهذا إبراهيم الحاج النميري يصف قصر الحمراء ، وكيفية جريان الماء ،وجمال بحيرتها ،ومنظر السبيكة وعجائب القصر يقول :

وقصر بناهُ خيْرُ بَانٍ فلم يكُــنْ يضاهيه في الأرض العريضة من قصرِ

عجائبهُ فوق العجائبِ إنّها غـرائـب لـم تـخـطـر بـبـالٍ ولافـكـر[2]

ومن المرتحلين عن غرناطة "أبو الحسن بن الصباغ العقيلي ،وكان لغربته أثر عميق في نفسه فحن الى أيامه الماضية ،وإلى ربوع غرناطة ، فقال يتشوق إلى بلده ويصرح بلوعة فراقه يقول :

حديثُ المغاني بعدهنَّ شُجونٌ وأوجــهُ أيــام الـتبـاعُدِ جونُ

لحا الله أيامَ الفراق فكم شجـتْ وغادَرَتْ الجذْلاَنُ وهو حزينُ

وحـيَـا ديـارًا ربـا غرناطة وإنـي بـذلك القُربِ فيه ضنينُ

خَـلِـيـلَـيّ، لا أمـر بأربُعـها قفا فـعـندي إلى تلك الرّبوع حَنِينُ

1- لسان الدين بن الخطيب ،حياته وفكره وشعره ،عصام قصبجي، مدير الكتب والمطبوعات الجامعية)ص 364

2- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ،المقري شهاب الدين أحمد ، تحقيق إبراهيم الالبيري ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،1993 ،ج3.

ألـمْ تَـرَيـَانـي كُـلّـمـا ذرّشارقٌ تـضَـاعَـفَ عِـنْدِي عبرةٌ وأنينُ[1]

عاني الشاعر كثيرا من هذا الفراق حتى كانت نهايته في الغربة بعيدا عن وطنه توفي بمدينة فاس في شوال عام ثمانية وخمسين وسبعمائة .

وقال الالبيري متشوقا إلى غرناطة وألمه على فراق غرناطة مع أمله في العودة إليها :

ذابتْ الحمراء حمر مدامعي والـقلـب فـيـنـا بـيـن ذلك ذائبُ

طَالَ المدي بي عنهم ولربما قد عاد من بعد الاطالة غائبُ [2]

يوضح الالبيري من خلال البيتين شدة معاناته وألمه على فراق غرناطة ،حيث تساقطت دموعه غزيرة على فراق قصر الحمراء ،وذاب قلبه من شدة حبه لها ،فقد طال بعده عن وطنه غرناطة .

لقد خلف المعتمد بن عباد شعرا يعد تجربة صادقة لحياته في المعتقل ،يفيض بالألم والحنين و الأسى ، يصور مرارة السجن الذي يعكس هذه الصورة في الأسر قوله :

تَبَدَلَتْ من عزِّ ظلّ البنـود بـذلِّ الـحَدِيـدِ وثِـقَـلِ القُيُـودِ

وكان حديد سـنـانـًا ذليـقًـا وعضبًا رفيقًا صقيل الحَديـد

1- دولة الاسلام في الأندلس ،محمد عبد الله عنان ،العصر الرابع ، نهاية الأندلس، مكتبة الخانجي ،القاهرة ، (د،ط)،(د،ت)، ص466

2- المصدر السابق ص468

فقد صار ذلك وذا أذهما يعضُّ بساقي عَضّ الأسودِ [1]

فالمعتمد قد تبدلت حالته من حياة القصور والعز والقوة والبطولة والمال والجواري إلى ذل القيود وثقلها وألمها ،فقد اسودت الحياة في نظره بعد أن تحولت حياته إلى جحيم لا يطاق بسبب بعده عن بلده وتكبيل حريته داخل السجن .

وهذا الشاعر أبو بكر بن جزي ،من أهل غرناطة يصور وقع الفراق حين نفي إلى الأندلس فلما صار خارج غرناطة في جور الوداع ،شعر بقلبه يتقطع لهذا الفراق و فاض الحنين من قلبه على وطنه يقول :

ذهبتْ حشاشةُ قلبي المصدوعِ بَـيْـنَ السَّـلاَم ووقـفـه التـوديـع

أنجِدْ بدمْعِكَ يـا غمـامُ فـإنـنـي لـم أرض يـَوْمَ البين فعل دُمُوعِي

من كان يبكي الضّاعنين بأدْمُعٍ فـأنـا الـذي أبـكـيـهُـمُ بـنـجـيـعِ[2]

فقد عبر الشاعر عن ألمه لفراق وطنه الذي أرغم على مغادرته ظلماً، فلم تكن الدموع لتسعفه في ذلك الموقف ، موقف الوداع ،لقد انسجمت على الرغم من أنه أولى النّاس بالبكاء بل والنحيب على فراق ذويه .

أما أبو المطرف بن عميرة الذي تغرب عن موطنه ومسقط رأسه جزيرة شقر ، فقد استقر به المقام في تونس ، ولم يلق فيها مكانة ، ولا اهتماما ،ومما زاد ذلك في شعوره بالغربة ، والألم والعذاب لبعده عن وطنه ،خاصة حينما سقطت على يد العدو الصليبي ، فلم يعد سوى الذكرى والحنين ، فقال يعبر عن لقيه في غربته :

تـَغَـيـرَ ذَاكَ الـعَـهْـدُ بـعـدي وأهـلـه ومـن ذا عـلـى الأيّام لا يـتـغـيرُ

وأَفْـقـرَ رسْـــمُ الـدار إلاّ بـقـيـةً لـسـائِـلـها عـن مثـل حالي تخْبـرُ

فـلـم تَـبْـقَ إلاّ زفـرة إثـر زفـــرةٍ ضـلـوعِـي لـهـا تـنـقـد أوتـتـفَـطَرُ

[1]- الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي، فاضل فتحي محمد والي ، ص293

[2]- الاحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين ابن الخطيب ، ج2، 260.

وإلاّ اشـــتيـاقٌ لا يـزال يـهـزنـي فلا غـايـةً تـدنــو ولا هـو يـفـتُرُ [1]

لقد حن الشاعر ابن عميرة إلى دياره التى يتخيل أنها أقفرت نتيجة رحيله عنها ،فلم يبقى سوى زفرات تكوي ضلوعه ،وتفطر قلبه ، وشوق شديد إلى وطنه ،كما شعر [بالأسى والحزن عندما وجد نفسه بين أناس لم يقدروه حق قدره ، فشعر بأنه غريب لا يكاد يعرف أحدا .

ومن الشعراء الذين بعدت بهم الشقة عن الوطن فانقطعوا عنه ،أو اضطروا مغادرتها طيلة حياتهم ، الشاعر الأندلسي أبو حيان الغرناطي ، حيث رحل عن الأندلس خائفا يترقب وحل بمصر لكن شوقه إلى وطنه ومسقط رأسه ألهب مشاعره يقول متشوقا إلى غرناطة :

يا فرقةً أبدلتني بالسرور أسى وأسهرت ناظرًا قد طال نَـعسا

أن يكون اجتماع بعد مفترق جسم بمصر وروح حل أندلسا [2]

وأكثر الشعراء من لومهم للزمن ،وما أصابهم من تشرد كان بفعل تقلباته التى كانت السبب في إبعاد ابن الخطيب عن وطنه ،ونراه يعبر عن حبه له فيقول في شوقه إلى غرناطة :

أيام قـربـكِ عِـنْـدِي مـا لهـا ثمـن لكنني صدّني عن قربك الـزّمـنُ

حططتُ بعدك يا أهلي ويا وطني رحل الغريبُ فلا أهل ولا وطـنُ [3]

فمن الشعراء المرتحلين عن وأوطانهم نجد أثير الدين أبي حيان ،حيث غادر وطنه ليحل في مصر بعيدا عن أهله ووطنه ، أن يتكيف مع المجتمع الجديد الذي أمضى فيه عشرين سنة ، لكن لم تصفُ له الأحوال في مصر حيث انعد الأصدقاء وأضنته نار الغربة،والبعد عن الوطن والأهل يقول في ذلك :

---

[1]- نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب ، شهاب الدين المقري ، ج2ص493

1- ديوان أثير الدين أبي الحيان ، أبي الحيان ، تحقيق وليد بن محمد السوقابي ، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر ،ط1 ،ص224.

[3] - الاحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين ابن الخطيب ، ج2، ص307

فلما نتَل مِنْها مدى الدّهر طايلاً ولما نَجِدْ فيهم صديقا نُوَادِدُهُ

فالشاعر كما يبدو من خلال البيت السابق يشتكي من انعدام الأصدقاء في مصر فلم يجد فيها من يستحق أن يتخذه صديقا له ، كما نراه في أبيات أخرى يفخر بأهل الأندلس الذين عرفوا له مكانته ودرسوا علم النحو على يديه، إضافة إلى قراءة كتبه يقول أبو حيان :

ومازَالَ منها أهل أندلسٍ لَــهُ جهادُ تُبذي فضلَهُ وتناجدُه

أثارَ أثير العرب للنّحو كامنًا وعالجه حتى تبدَّت قواعدهُ

إذا مغربِيٌّ حَطَّ بالثَغَر رحَّلَهُ تَيَّقَنَ أن النحو أخفاهُ لا حِدُهُ [1]

فالشاعر يعتز بنفسه والأندلس من خلال علم النحو الذي يعود له الفضل في تدريسه وتأليفه.

كما نجد الأمير اسماعيل بن الأحمر ، الذي اضطر إلى الخروج إلى بلاد العدوة المغربية ، بعد أن أرغم على البعد عن وطنه، بحكم انتسابه إلى فرع من فروع بني الأحمر سلب منه سلطانه فقد فاضت دموعه حنينا وشوقا وألما لبعده عن وطنه ، إنه يعبر عن حبه لوطنه بإحساس مرهف وعاطفة صادقة نابعة من قلبه يقول في ذلك :

يُهيّجُ زفرتِي تذكارُ أرضِــي ويفجعنِي ويَسْتَهْمِي الجُفُونَا

حنيني ما حييتُ لها عظيم وبسوى محبتها بُليِنا

وما بمراد نفسي كان عنها بعادي لا وربِّ العالمينا [2]

[1] - المصدر السابق،ج4، ، ص55-56

1- أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن ، وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان ابن الأحمر ، تحقيق محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، ط1،1407ه-1987م. ً25.

يتفجع ابن الأحمر على فراق وطنه ، وتهيج دموعه و آهاته علة هذا الفراق ،وتشوق إلى هذا الوطن الذي فارقه رغما عنه ، وما حبه له وتعلقه به إلاّ دليل على صدق مشاعره وعاطفته تجاهه .

أحبابُنا ودعتُم ناظري وأنتم بين ضُلوعي نُزُولْ
حَلَلْتُم قَلْبِي وَهُوَ الذي يقولُ في دين الهَوى بالحلُولِ
أنا الذي حدثَ عنِّي الهَوَى بأَنَّنِي عن حُبِكُم لا أحولْ
فيزيد العاذلُ في عَذْله وليقلِ الواشِي لكم ما يَقُولُ[1]

هاهو يؤكد على الوفاء بالعهد والوعد لأحبابه ووطنه الذين خلفهم وراءه ، فإن كان قد ارتحل عن وطنه وأحبائه وغابوا عن ناظريه ، فقد حلوا بين ضلوعه في قلبه ،ويؤكد الشاعرعلى حبه لوطنه ، وأن ما يعرفه يعرف ذلك عنه فلا يأبه بالوشاة الحاسدين ما دام مخلصا لوطنه وفيا بعهده الذى قطعه على نفسه ما دام على قيد الحياة .

أما الشاعر الأندلسي أبو الحسن علي بن عبد الله النميري والششتري الذي يعد من أشهر الشعراء المتصوفة في غرناطة آن ذاك ،حيث نجده في هذه الأبيات ما يدل على التشوق والهجران ،وفيها يقول :

أأحبانا إن كان قتلي رضاكم فها مهجتي طوعًا لكم فتحكَّموا
أقمتم غَرَامِي في الهوى وقعدتم وأسهرت ما جفني القريح وذِمْتُمْ[2]

لقد عبرت هذه الأبيات عما ينتاب الشاعر من شدة تعلق بالمحبوب ، والحنين إليه ،وغير ذلك من الألفاظ التي وظفها للتعبير عن تجربته الشعورية ، وفي باطنها تعبير عن الحنين إلى الذات الإلهية .

[1]- الاحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين ابن الخطيب ،ج2،ص122
[2]- الحنين في الشعر الأندلسي ، القرن السابع الهجري ، محمد أحمد دقالي ، ص221

وله أبيات اخرى يصف فيها معاناته ووحدته ومن يحب تعبيرا عن حنينه الديني ،وذلك من خلال أبياته :

واسْمَحُوا لِلمزار بالروح إني في نعيم إن أنتم زرتموني

واشرحوا للورى قضية حالي فعسى عند شرحها يَرْحَمُونِي[1]

فهذه بعض النماذج من شعر الحنين عند أبي الحسن الششتري الشاعر الصوفي الذي أثرت أشعاره وأزجاله وموشحاته في معظم الأقطار الاسلامية.

[1]- المصدر السابق ص224

المبحث الثالث :الخصائص الفنية و الأنموذج

1-اللّغة :

لقد عرف الأندلسيون في أشعارهم البلاغية في حسن اختيار الألفاظ وجزالة الأسلوب وهذا ما يجعل اللغة فصيحة وتراكيبها الدالة ،ولم يخرج شعراء غرناطة الذين نظموا في الاغتراب عمّا تقرر من معجم في هذا الغرض ،ففي أغلب النصوص التى استشهدنا بها نجد الكلمات الآتية : الحنين ، الشوق ، الوجد ،النأي ، البعد ، و غيرها .

ولم تخرج لغة أولائك الشعراء الأندلسيين التى طبعها الوضوح ،فقلّما يجد القارئ عبارات غامضة .

فمن الأشعار التى اتسمت بالرقة واللّين والفصاحة والسهولة في الألفاظ ، ما نجده عند الشاعر يوسف الثالث ملك غرناطة في أبيات تفيض شوقا إلى وطنه غرناطة وهو بعيد عنها في جبل الفتح :

أَضْحَى الفُؤَادُ بسَيْفِ الَبَيْنِ مجْرُوحَا ومَدْمُعَ العين فوق الخَدِّ مَسْفوحًا

طال اغترابي عن أهل وعن وطنٍ وَسَامني زَمني وجدًا وتَبْرِيحَا[1]

فتميزت أبياته بالرقة الألفاظ،وعذوبتها ، وسهولتها ،حيث جاءت في غاية التأنق و الجمال.

ونجد ابن فركون يستعمل ،في أغلب قصائده التى وقفت عندها ،الألفاظ المألوفة ، البعيدة عن الغرابة ،وقد عبرت لغته عن المشاعر والأحاسيس فيقول :

هَلْ بَعْدَ طُولِ تَغرُّبِي وفُراقي أَرْجُوا اللقاءَ ولَات حين تلاق

هي دار أحبابي وموضع صَبْوَتِي وَمَحَلُّ جيراني وَربْعُ رِفَاقِي

[1]- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ، يوسف يوسف ،ص.29

جَارَ الزمان ببعدهم وَلَعَلَّهُ يومًا يَجُودُ بِعَادَة الإِشْفَاقِ[1]

وهذا ابن سعيد نجده يستخدم جملة من الألفاظ ، تميزت بالسهولة والرقة ، فيصور فيها ما كان يعانيه من شوق بلده يقول :

لولا تشوَّقُ أرضِ حمصٍ مَا جَرَى دمعي ولا شمَتَتْ بي الأعْدَاءُ

بَلَدٌ مَتَى يَخْطُرُ لَهُ ذِكْرٌ هَفَا قلبي و خان تَصبَرُ وعَزَاءُ

إنّ الفراق هو المنيّةُ ،إنّما أهل النوى ماتوا وهم أَحْيَاءُ[2]

أمّا ابن الخطيب ، والذي تغني بغرناطة كثيرا ، وله أبيات يتشوق إلى وطنه غرناطة وفيها يقول :

سَلُوا عَنْ فُؤَادِي بُعْدَكُمْ كَيْفَ حَالُهُ وقد فُوِضْتُ عِنْدَ الصَبَاحِ رِحَالُهُ

ولا تَحْسَبُوا أنّي سَلَوْتُ عَلَى النَوَى فَسِلْوَانُ قَلْبِي في هَوَاكُمْ محالُهُ

ترى هل يعودُ الشَمْلُ كَيْفَ عَهِدْتُهُ وَيَبْلُغَ قَلْبِي مَا اشْتَهَي ويَنَالُهُ[3]

هذه أبيات ابن الخطيب تميزت بالرّقة والفصاحة والتلاؤم بين الألفاظ والمعاني .

لقد استخدم شعراء غرناطة في شعرهم الألفاظ والمعاني البسيطة في أشعارهم لتعبير عن لغتهم ، فجاءت تراكيبهم مترابطة ، متينة السبك والصياغة واضحة في لغتها ، وهذا يدل على ثقافتهم اللغوية الواسعة.

[1] ديوان ابن الفركون ، ابن الفركون ، أبو الحسين أحمد ، ص259

[2] - نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المقري شهاب الدين أحمد ،ج1ص693.

[3] - أزهار الرياض في أخبار القاض عياض ، المقري شهاب الدين أحمد ص527.-

المحسنات البديعية :

هي من الوسائل الفنية التى يجمل بها الأدباء أساليبهم ، وهي تضفي على الأدب ما يشترط فيه من رونق وحلاوة وطلاوة.

ومن المحسنات البديعية التى نجدها عند الشعراء غرناطة في نصوص الاغتراب : الطباق والجناس والمقابلة ..... وقد أدت وظيفتها البيانية والجماليّة ، فوضحت المعنى ، وجمّلت الأسلوب ومن أمثلتها ما في قول ابن الفركون :

مَا كَانَ ظَنِّـي أن الُقرْبَ يعقبه ُبعْدٌ وَلَا أَنَّ طول الوصلِ يَنقطع[1]

حيث طابق بين " القُرْبِ " و"البُعْدِ"وكذلك بين " الوَصْلِ " و"يَنْقَطِعُ " فأسهم في المعنى الذي يريده وهو إظهار معاناته وغربته عن وطنه.

ومن أمثلتها كذلك عند ابن سعيد المغربي ما في قوله:

أسْهَرُ اللّيْلَ لستُ أُغفِي لصبحٍ أترى النّوْمَ ذَاهِبًا بالصبَاحِ[2]

فقد طابق ابن سعيد بين " اللّيْلِ "و"الصُبْحِ" ولهذا أثر كبير في نفس السامع ، مما يشده إلى المعنى الذي أراد الشاعر أن يصل إليه بتصوير غربته .

ومن أمثلة ابن الخطيب على الجناس قوله بعد ما وقع في الأسر :

ودُنَا عِظَامًا فَصِرْنَا عِظَامًا وَكُنّا نقوتُ فَهَا نحنُ قوتُ[3]

فقد جانس ابن الخطيب بين "عظاما" و"عظاما" ، وكذلك " نقوتُ "و "قوتُ"،وكان لهذا التكرار في اللفظ أثر في نفس المتلقي مما أحدثه الجناس من جرس الموسيقا.

وهذا أبو البقاء الرندي يجانس في قوله يتشوق إلى رندة مدينته الحبيبة:

بِحَيَاةٍ مَا ضَمَّتْ عُرَى الأَزْرَارِ بِذِمَامِ مَا فِي الحُبِّ مِنْ أَسْرَارٍ

[1]- ديوان ابن الفركون ،ابن الفركون أبو حسين بن أحمد ،ص259

[2] - نفح الطيب من غضن الاندلس الرطيب ، المقري شهاب الدين أحمد ،ج5،ص111

[3]- المصدر نفسه ،ص334

بالحِجْرِ بالحَجَرِ المُكَرَم بالصَّفَا بـالـبَـيْتِ بـالأَرْكَـانِ بالأسْـتَـارِ[1]

فقد جانس ابن الأبار بين "الحِجْرِ "و"الحَجَرِ" ، جناس ناقص ، فقد شكلت موسيقى داخلية واضحة ، مما جعلها تؤثر في نفسية المتلقى.

ومن أمثلة التصريع مل نجده في قول الشاعر الأندلسي ابن زمرك :

يَا مَنْ يَحِنُ إِلَى نَجْدٍ ونادِيهَا غرناطة قد ثوت نجد بَوَادِيهَا[2]

ومن أمثلة التصريع ما أشار إليه ابن الخطيب في مطلع قصيدته في قوله:

أَيَامُ قُرْبِك عِنْدِي مَا لَهَا ثمن لكنني صدني عن قربك الزمن[3]

لقد حرص الشاعر على اظهار العناصر الموسيقية الداخلية والخارجية.

[1]- في الأدب الأندلسي ، محمد رضوان الداية ،دار الفكر ،دمشق ، سورية ،2000م.

[2] -الاحاطة في أخبار غرناطة ،لسان الدين ابن الخطيب ،ج2،ص307"

[3]- المصدر نفسه ، ج2،ص261

الصورة:

الصورة هي وسيلة فنّية يستخدمها الشعراء لجلاء الأحاسيس والعواطف ، ولبيان الأفكار،وقد استخدم شعراء غرناطة في الشعر الذي نظموه في الاغتراب ، مجموعة من الصور البيانية ،منها :التشبيه ،و الاستعارة ، والكناية .فمن التشبيهات التى وظفها ابن سعيد التي يحن فيها إلى اشبيلية ، متذكرا أيام مرحه ولهوه مع المحبوب حيث أكثر من وصفه واظهار محاسنه:

مع كل مذبول الوصال ممنّع من غيرنا تسموبه الخيلاء

كالضّبي كالشمس المنيرة كالّنقا كالغصن يثني معطفيه رخاء[1]

حيث نلاحظ أن الشاعر له أكثر من استعمال للتشبيهات التى أضافها للمحبوب ،حيث شبهه بالضبي ، والشمس ، والنّقا ، الغصن.

فمن ذلك ما نجده عند أبي البقاء الرندي في قصيدته النونية ،فصور فيها معاناة الأندلسيين ،حيث قال :

كم من أسير بحبل الذّل معتقل كأنه ميّت والذل أكفان

يا رب أم وطفل حبل بينهما كما تفرق بين أرواح وأبدان[2]

من صور المجاز ما استعمله مالك بن مرحل في قصيدته الرائية التى قيلت عندما أغار الاسبان على مملكة غرناطة ،حيث صور شكوى الخيل ورغبتها في لحاق بالعدو ، يقول :

والخيل تشكونا ولا ذنب سوي أننا نروح بها وأنّا نغتدي

لو أنها علمت بنا في قصدنا كانت تطير بنا ولم تترد[3]

[1] - الحنين في الشعر الأندلسي ،القرن السابع الهجري ، محمد أحمد دقالي ،ص474

[2] - المرجع نفسه ص473

[3] - المرجع نفسه ص 478

الموسيقى :

الموسيقى من العناصر الأساسية في بناء النص الشعري . وتقوم على الوزن والقافية ومن يتتبع النصوص التى نظمها شعراء غرناطة في غرض الحنين ، يجد أنّهم نظموا في بحور مختلفة .[1]

وأهم البحور التى نظموا فيها : الطويل والبسيط ،والكامل ،والوافر والخفيف والرمل ،والمتقارب.

- وظفوا الصور البيانية ، فاستخدموا الأنواع البارزة منها ، كالتشبيه والاستعارة وغيرها .

- أكثروا من استعمال المحسنات البديعية ، رغبة في التنميق والتزويق .

- حافظوا على الايقاع الموسيقي المألوف ، فاستخدموا البحور الشائعة ، كالطويل وغيره ....

والمتتبع لنصوص هؤلاء الشعراء في هذه الفترة يجد ان شعرهم غني بالموسيقى الواضحة التى تحدثها المحسنات البديعية كالجناس ، والطباق ،والمقابلة ،والتقسيم ،والتصريح .....وغيرها من المحسنات .

- كما أنهم مالوا الى استخدام الموسيقى الواضحة من أجل التأثير في المتلقي ،فتميزت الموسيقى عندهم بانسجام وتآلف الأحرف والعبارات ،وذلك حسب براعة الشاعر وحسن اختياره لها في نصوصه الشعرية.

[1]- الحنين في الشعر الأندلسي ، القرن الهجري السابع ، ص 266

النموذج : ابن سعيد المغربي

1- تعريفه :

اسمه **"علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر..... "** رضي الله عنهما ويكني أبى الحسن .

ولد الشاعر في قلعة (يحصب) ، أو قصر ابن سعيد ، ليلة الفطر سنة 610ه ، من أسرة أندلسية عريقة تنتمي في أصلها إلى الصحابي الجليل (عمار بن ياسر)، رضي الله عنهما .كانت هذه الأسرة ذات شأن عظيم في قلعتهم المذكورة ،وفي الأندلس عامة .وقد نشأ واشتهر بغرناطة .

تنقل الشاعر في صغره بين مدن الأندلس لتلقي علومه ،فقد ذكر ابن الخطيب بأنه " **أخذ من أعلام اشبيلية كأبي علي الشلوبين ،وأبي الحسن الدبّاج ، وأبي الحسن بن عصفور وغيرهم** " وكان والد ابن سعيد يعمل في خدمة الموحدين ،وقد أشرف على تربية ابنه ، وتنشئته وتعليمه .حتى غدا أحد العلماء المصنفين الكبار والمشهورين في الأندلس.

أتاح له منصب والده التعرّف على الكثير من العلماء والأعيان من مختلف المدن الأندلسية وخارجها ،وما نعرفه عن حياة الشاعر أنّه أقام في اشبيلية ، وكان يقرض الشعر مع صديقه ابن سهل الاشبيلي ويتجولان في متنزهاتها ويقرضان الشعر معا.

في سنة 622ه رحل ابن سعيد مع والده إلى الجزيرة الخضراء ، التى ولاه ابن هود حاكما عليها.[1]

وقد عاش ابن سعيد حياة متقطعة ، تفرقت بين التنقل والترحال عبر

الأمصار : منها : مصر ، حلب ، الموصل ، المغرب ، الاسكندرية.

وقد ترك ابن سعيد المغربي مؤلفات عديدة منها :"المرقصات "وا"لمطربات في الشعر والأدب" ، "المغرب في حلى المغرب "، "المشرق في حلى المشرق" ، "الطالع السعيد في تاريخ ابن سعيد"..... .

لقد وافته المنية سنة 685ه ، وكان لابن سعيد ثقافة وعلما واسعا وهذا ما يشهد له العديد ممن ترجموا حياته وأدبه ، وما عرفته مصنفاته العديدة التى خلفها لنا ما يهمنا من حياة الشاعر ، هو معرفة دوافع الحنين والشوق في شعره ، لقد جاء نتاجه الشعري غزيرا بالمقارنة مع غيره من الشعراء ، فكانت واضحة في شعره ، فعكست مدى معاناته ، وتغربه عن الأهل والوطن [2].

[1]-ينظر : الحنين في الشعر الأندلسي ، محمد أحمد دقالي ، ص 198

[2]- المصدر نفسه ، ص199.

ومن قصائده في هذا الباب ، قصيدته - البائية - التى يحنّ" فيها إلى ذكرياته بغرناطة ، وفيها يقول :

أغِثْني إذا غنّي الحمامُ المطرِّبُ بكأسٍ بها وَسْواسُ فكريَ يُنْهبُ
ومِلْ مَيْلةً حتى أُعانقَ أيْكَةً[1] وألثِمَ ثَغْرًا فِيهِ للصَّبّ مشربُ
ولَمْ أرَ مَرْجانًا ودُرًّا خلافَهُ يُطيف به وَرْدٌ من الشهد أعذبُ
فديتُكَ من غُصْنٍ تحمَّلهُ نَقًا تطلّع أعلاهُ صباحٌ وغَيْهَبُ
وجَنَّتهُ جنّاتُ عَدْنٍ وفي لَضًى[2] فؤادي وما لي من ذنوب تعذبُ
ويَعْذلني [3] العذّالُ فِيهِ وإنّني لأعْصي علَيْهِ مَنْ يلومُ ويعتبُ
لقَدْ جهلوا ،هل عن حياتيَ أثني إذا نَمّقُوا[4] أقوالهُمْ وتألّبوا
يقولونَ لي قد صار ذكركَ مخلقًا وأَصبحَ كلٌّ في هَواهُ يؤنَّبُ
وعِرضُكَ مبذولٌ[5] ،وعقلُكَ تالفٌ وجسمُكَ مسلوبٌ ،ومالك يُنهبُ
فقلتُ لهم عِرضي وعقليَ والعُلا وفخريَ لا أرضى بها حينَ يغضبُ
جنونٌ أبَى أن يلينَ لعازمٍ بسحرٍ بآيات الرُّقى ليس يذهبُ
فقالوا ألا قد خانَ عهدَكَ قلتُ لم يَخُنْ مَنْ إذا قرّبته يتَقَرّبُ
و كَمْ دُونه من صارم [1]ومثقَّفٍ فيا من رأى بدرًا بهذين يُحْجبُ ؟

---

[1]- الأيكة : الشجر الكثير الملتف .
[2]- لظى : اسم من أسماء جهنم، أو لهب النار الخالص لا دخان فيه
[3]- يعذلني : يلومني ويعتبني
[4]- نقموا :أنكروا وعابوا أقوالهم
[5]- مبذول :ترك التصون والتحرُّز

عَلـى أنّـه يـستسهلُ الصعبَ عنْدما يـزورُ فَـلا يُـجدي حـمًى وتَـرَقُّـبُ
وكَـمْ حِيلـةٍ تترى عَلـى إثْـرِ حـالةٍ وذو الـودّ مَـنْ يَـحْتـالُ أو يـتسببُ
علـى أنَّـهُ لو خـانَ عـهديَ لـم أزَلْ لَـهُ راعيًا ،والـرعـيُ لـلصبِّ أوْجبُ
فـأيْـن زمـانٌ[2] لَـمْ يـخـنِّيَ سـاعَـــةً بــهِ وهـوَ مِـنِّـي فـي الـتنـعّم أرغـبُ
ولا فيـهِ مـن بـخـلٍ ولا بـي قناعةٌ كـلانـا بـلَـــذّاتِ الـتـواصل مُـعْـجَبُ
ويــا ربَّ يـومٍ لا أقــومُ بـشـكرهِ عَـلـى أنـّنــي مازلتُ أُثنــي وأُطـنـبُ

عـلـى نـهـر شَـنّـيلٍ [1]وللقُضْبِ حولنا مَـنابـرُ مـازلـتُ بـهـا الطّـيـرُ تـَخْـطـبُ

[1] الصارم : السيف
[2]- زمانا

وقد قُرِعَتْ مِنْهُ سبَائِكُ فضّة خلالَ رياضٍ بالأصيل تُذَهَبُ
شربنا عليها قَهْوَةً ذهبيّةً غدَتْ تَشْرَبُ الألبابَ أيّان تُشْرَبُ
كأنْ ياسمينًا وَسْطَ وردٍ تفتّحَت أزاهرُهُ أيّان في الكأسِ تُسْكَبُ
إذا ما شَرِبناها لنيلِ مَسَرَّة تَبَسَّمُ عن دُرٍّ لها فتقطّبُ
أَتَتْ دونها الأحْقابُ حتى تخالها سرابًا بآفاق الزّجاجةِ يَلْعَبُ
نعِمْنا بها واليومُ قَدْ رقَّ بُرْدُه إلى أن رأيْنا الشمس عنّا تُغَرِّبُ
فقالوا ألا هاتو السراجَ فكلُّ مَنْ درى قَدْرَ ما في الكأس أقبلَ يعجبُ
وقال ألا تدرون ما في كؤوسكم فلا كأسَ إلا وهو في الليل كوكبُ
كواكبُ أمستْ بينَ شرْب ولم نخَلْ بأنَّ النجومَ الزُّهرَ تدنو وتَغْربُ
ظللناعليها عاكفينَ[2] وليلنا نهارٌ إلى أن صاح بالأيك مطرب
فلم نثن عن الدين الصبوح عنانا[3] إلى أن غدا مَنْ ليس يعرِفُ يندبُ
صُرعنا فأمسى يحسبُ السكرَقد قضى علينا ، وذاك السكرُ أشهى وأعجبُ
وكَمْ لَيْلةٍ في إثر يومٍ وعُذَّلي وعُذَّلُ مَنْ يُصْغي لقوليَ خُيِّبُ
فيا ليتَ ما ولَّى مُعادٌ نعيمُهُ وأيُّ نَعيمٍ عندَ مَنْ يتغرَّبُ[4]

الطويل

مناسبة القصيدة التي قيلت فيها:

إن ابن سعيد المغربي ، هو خير من مثل الرحلة داخل الأندلس ، فهو لم يترك مدينة أندلسية ولا بلدا إسلاميا إلاّ وحل فيه ، وسجل فيه ملاحظاته ، فكان دائم التنقل حتى إنه لم يتزوج لتفرغه لطلب العلم والاستمتاع بالرحلة ، وهذا ما

---

[1]- نهر شنيل : نهر كبير بغرناطة وهو أحد متنزهاتها .

[2]عاكفين: عكف في المكان أقام فيه ولزمَهُ -

[3]عنانا : العنُّ ، الناحية ، (ج) أعنان -

[4] *ديوان ابن سعيد المغربي ، ابن سعيد المغربي، (د،ط)، (د،ت) ،ص* ***27-28***

ألهب مشاعره في ترحاله ، فهو يتشوق ويتذكر وطنه الأندلسي الذي عاش فيه أيام صباه ، فدرس فيه على أيدي كبار العلماء والشيوخ ، فهاهو يتنقل من مدينة إلى أخرى داخل الأندلس ، اشبيلية ، مالقة ،مرسية ،غرناطة.[1]

شرح القصيدة :

لقد بدأ الشاعر قصيدته في البيت الأول إلى الحنين إلى بلدته غرناطة بذكر نوح الحمام الباعث على الشجن والحنين ، متذكرا ذلك الزمان ، وذلك العهد الذي قضاه في ربوعها ومتنزهاتها ، ثم يمضي الشاعر إلى الحنين الجارف إلى الماضى ، والحزن الكبير من الحاضر المؤلم ورفضه له ، الأمر الذي يرغب معه في السكر حتى لا يصحو على هذه المعاناة الدائمة .

ويتصاعد حنين الشاعر وتزداد لوعة شوقه كلما تذكر أيامه التي قضاها في التنزه على نهر (شنيل) ، والرياضات ، الأزاهر ، الطيور المغردة .....ويرى أن العيش لا يحلوا إلاّ في ظلّ ذلك الوطن ولا نعيم للغريب الذي فقد أهله ووطنه .

إنّ الحنين إلى المدن الأندلسية عند ابن سعيد مرده إلى تنقلاته العديدة بينها ، فأصبحت جزءا من ذكرياته وماضيه ، وهذا يدل على احساس الشاعر بالانتماء إلى الوطن الأندلسي ،وهو ما انعكس في أغلب أشعاره .

لقد مثلت هذه القصيدة معاناة الشاعر فانعكست في شعره صورة واضحة عن مدي معاناته ، وتغربه عن الوطن و الأهل .

وهكذا كان الحنين عند ابن سعيد متأصلا ، انعكس هذا من خلال أشعاره ، وشكل ظاهرة بارزة عبّرت عن مدى تعلق الأندلسي بأرضه ووطنه بدأ من مسقط رأسه وصولا إلى الوطن الأم .

تحليل القصيدة:

---

[1] - *نقلا عن : الحنين والغربة في الشعر الأندلسي ، عصر سيادة غرناطة ، مها روحي ابراهيم خليل ، رسالة ماجيستار بإشراف ، د ، وائل أبو صالح ،**2007**، ص **44***

إذا تأملنا شعر ابن سعيد المغربي نجد أن الصورة الطللية تتسرب إلى شعره ، فهو لم يخرج عن طريق ما سار عليه الشعراء قبله ، فقد ظلت القصيدة العربية التقليدية هي المؤثرة لديه ،وهذا ما نجده عند أغلب شعراء غرناطة.

حيث بدأ مقدمته الطللية بالحنين وذكر نوح الحمام ،متذكرا ذلك الزمان ، وذلك العهد الذي قضاه في ربوعها.وفيه يقول :

أغثني إذا غنى الحمام المطرب بكأس بها وسواس فكري ينهب

وقد اهتم شعراء غرناطة بمطالع قصائدهم ،وهذا ما فعله ابن سعيد في صياغته حيث أبرزها في أبهي صورة ، واجمل شكل ، فاهتم بأجزائها كلها ،فاتخذها وسيلة ليشد انتباه السامعين إليه ، فهي أول ما يطرق أسماعهم .

كما نجده برع إلى حد بعيد في حنينه هذا ،فتخلص من المقدمة الطللية لينتقل إلى غرضه الرئيسي دون أن يشعر القارئ بفجوة بين المقدمة والعرض.

فأسلوب ابن سعيد هوأسلوب المحدثين ، فنجده وظف الوصف واستخدم عناصر الطبيعة في تخلصه بمهارة.

كما أولى الشاعر الغرناطي أهمية كبيرة في حسن صياغة الخاتمة ، فكانت له عناية بالغة مستخدما اللفظ الحسن الرشيق ، فأخرجها في أحسن صورة مستخدما أسلوب النداء والتمني في قوله :

فيا ليث ما ولى معاد نعيمه وأي نعيم عند من يغترب

لقد تميزت اللغة عند ابن بالرّقة والسهولة ، والجزالة والقوّة بحسب الغرض الذى وردت فيه ، فتميز أسلوبه بالبساطة والسهولة ،والبعد عن الألفاظ الغريبة ،فأحدث وقعا خاصا على أذن السامعين .

كما استخدم في أسلوبه عنصر الطبيعة ، من خلال ذكره نهر "نهر شنيل "بغرناطة ، وذكر متنزهاتها ، متذكرا أيام الأنس التي كان ينعم بها آن ذاك في قوله:

على نهر شنّيل لقضب حولنا منابر مازالت بها الطير تخطب

وهكذا امتزج حنين الشاعر بطبيعة بلاده فلم يعد يرى في غربته سوى الصور الجميلة ، ليسترجع أيامه الماضية .وهو خارج وطنه.

كما وقع الشاعر نفسه في عيب الإيطاء[1] أيضا ، وذلك في البيت التالي :

نعمنا بها واليوم قد رقّ برده إلى أن رأينا الشمس عنا تغرب

*فعبد بيت واحد فقط ن*جد الشاعر كرّر القافية نفسها بلفظها ومعناها . حيث قال:

كواكب أمست بين شرب ولم نخل بأنّ النجوم الزهر تدنو وتغرب

فمعجمه اللّغوي غني ومتنوع بالمفردات نهل موارده من عدة مواد منها :الحياة : النّعيم ، الجنة .....– الطبيعة : الأيكة ، الحمام المطرب ، مرجانا ، النّجوم ، ياسمينا ... - الاغتراب : أغثني ،الحنين ، النّوح ، الصبّ.،تغرب.....

فبرزت ثقافته الواسعة ،واطلاعه على كثير من المصادر كاستخدامه المحسنات البديعية التى كان لها أثر واضح في الزخرفة اللفظية مثل : استخدامه لتصريع في البيت الأول بين الكلمتين "المطرب ، ينهب" في قوله :

أغثني إذا غنى الحمام المطرب بكأس بها وسواس فكري ينهب

كما طابق بين " الليل ، النهار"، " أري يحجب " في قوله :

ظللنا عليها عاكفين وليلنا نهار إلى أن صاح بالأيك مطرب

و كم دونه من صارم ومثقف فيا من رأى بدرا بهذين يحجب ؟

ولعل ابن سعيد خير من يعبر عن الغربة وما تحدثه في النفوس من ألم وشكوى ، لقد عكست أشعاره معظم صور الغربة والحنين من خلال البيئات الاجتماعية التي حل بها في ترحاله الدائم بين مدن المشرق العربي .

[1]- الايطاء : عيب من عيوب القافية وهي تعني تكرار القافية بلفظها ومعناها دون تغيير.

الخاتمة:

وبعد فقد دار هذا البحث حول موضوع شعر الاغتراب في العصر الغرناطي .وفيما يلي تلخيص لأهم ما انتهيت إليه

1- لقد عرفت الأندلس أكبر انتكاسة مرّت بها دويلاتها ، فنتجت عنها حروب وفتن أدت إلى انحصار دولتها في رقعة صغيرة من الجزيرة عرفت بمملكة "غرناطة" .

فعرفت بلاد الأندلس ولادة العديد من الشعراء الذين ظلت أسماؤهم مرتبطة بحب الوطن و الانتماء .وذلك بفضل آثارهم الأدبية التى حفظها الزم على مر العصور .

2- احتلّ الاغتراب ، عند شعراء غرناطة حيّزا واسعا فمن أسباب ذيوعه : الرحلة ، وسقوط المدن الأندلسية ، والأسر والسجن .

3- تميز شعر الاغتراب عند الشاعر الأندلس بطبعته الخاصة ، فلم يقتصر الحنين عنده فقط إلى منشأ طفولته وذكريات صباه ، بل تعداه إلى الحنين إلى أخرى ، انعكست في أشعارهم حيث ظهر واضحا عند أكثر الشعراء.

4- يبرز طابع التجديد عند الشعراء الأندلس ، وتميزهم عن غيرهم من الشعراء ، هو تعلق الشاعر الأندلسي بطبيعة بلاده ، حيث أطنب في وصفها ، والحنين إليها ، فانعكس ذلك في تجربته الشعرية ، وجاء حنينه إليها صادقا في ألفاظه ومعانيه .

5- من أهم الخصائص الفنية لشعر الاغتراب عند شعراء غرناطة ما يلى:

- تميزت لغته بالسهولة والبعد عن الغرابة ، واتسمت بالرقة وكثرت فيها ألفاظ الشوق ، والوجد والحزن والأسى .

واتسم الأسلوب عندهم بجودة التركيب وحسن النّسج ، والبعد عن التعقيد.

وهكذا كان لشعراء المشارقة فضل السبق في شعر الاغتراب ، فاقتفى شعراء الأندلس أثرهم لكنّهم لم يقفوا عند هذا الحدث بل توسعوا فيه وفاقوا المشارقة في الاغتراب كمًا و كيفًا ، بل كانوا أكثر براعة وتجديدا.

* - القرآن الكريم.

1. الاحاطة في أخبار غرناطة ،محمد لسان الدين ، مكتبة الخانجي ،مصر ،ط1، 1419.

2. أروع ما قيل في الوجدانيات ، إميل ناصيف ، دار الجيل ، بيروت ،ط1، 1416ه – 1996م.

3. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، المقري شهاب الدين أحمد ، تحقيق إبراهيم الإلبيري ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ،1939، ج3.

4. أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن ، وهو كتاب نثير الجمان من نظمني وإياه الزمان لابن الأحمر ، تحقيق محمد رضوان الداية ، مِؤسسة الرسالة ،ط2، 1407ه-1987م.

5. الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر،فريد أمعضيشوا ، شبكة الألوكة ،ط،1436ه-1999م.

6. الإنسان المغترب عند إريك فروم ، حسن حماد، مكتبة دار الكلمة، مصر ،(د،ط)، 1436ه-2015م

7. تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتي سقوط غرناطة ، عبد الرحمان علي الحجي ، دار القلم ،دمشق ،ط2 ، 1402ه-1996م.

8. الحنين في الشعر الأندلسي ،القرن السابع الهجري ، محمد أحمد دقالي ،دار الوفاء ، الإسكندرية ، ط2، 2008م

9. الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان ، يحي الجبوري ،دار محمد لاوي ،الأردن ،ط1، 1428ه-2008ه.

10. دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ،الطاهر،أحمد المكي، دار المعارف ، ط**3** ،**1987**م.

11. دراسات في سكولوجية الاغتراب ،عبد اللطيف محمد خليفة ، دار الغريب ، القاهرة ،**2003**ه.

12. دولة الإسلام في الأندلس ، محمد عبد الله عنان ،العصر الرابع ،نهاية الأندلس ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ،(د،ط)،(د،ت).

13. ديوان ابن الأبّار : أبو عبد الله محمّد بن الأبار ، تحقيق عبد السلام هراس ،الدر التونسية للنشر والتوزيع ،(د،ط)،**1405**ه

14. ديوان أثير الدين أبي الحيان ، أبي الحيان ،تحقيق وليد بن محمد السوقابي،دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر ، ط**1**، (د،ت).

15. ديوان امرئ القيس،مصطفى عبد الشافي نتحقيق حسن السندوبي ،دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1425،5ه-**1986**م.

16. ديوان ابن جرير، دار بيروت ، بيروت ، (د،ط)،**1406**ه-**1986**م

17. ديوان ابن جنان الأندلسي الأنصاري،شاعر المديح النّبوي ، تحقيق منجد مصطفى بهجت ،(د،ط)، **1410**ه-**1990**م.

18. ديوان ابن خفاجة ، أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة ،دار بيروت للطباعة والنشر ،(د،ط)، **1004**ه.

19. ديوان الرصافيّ البلنسيّ ،أبو عبد الله محمد بن غالب تحقيق إحسان عباس،دار الشروق ،بيروت ،ط**2**، **1403**ه.

20. ديوان ابن حمديس ، تحقيق إحسان عباس ، دار الكتاب العربي ،بيروت، (د،ط)،**1379**ه-**1960**م.

21. *ديوان ابن زيدون،شرح يوسف فرحات ،دار الكتاب العربي،بيروت،ط1379،2ه- 1924م*

22. *ديوان ابن سعيد المغربي ، ابن سعيد المغربي، (د،ط)، (د،ت)*

23. *ديوان عبد الكريم القيسي ،تحقيق جمعة شيخة ،محمد الهادي الطرابلسي ،بيت الحكمة ،قرطاج ،1988ه.*

24. *ديوان أبي العتاهية ،دار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت ،(د،ط)،1406ه-1986م.*

25. *ديوان عمر بن أبي الربيعة ،فايز محمد ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،ط2، 1416ه-1986م.*

26. *ديوان أبو الفراس الحمداني ، شرح خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ،بيروت ،ط2، 1414ه-1999م.*

27. *ديوان مالك بن الريب ،حياته وشعره ،بوري حموي القيسي ،مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية ،مج15 ،ج1 ،(د،ط)،(د،ت).*

28. ديوان النّابغة الذّبياني، شرح نصر الحنّى، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1411هـ-1991م،

29. *ديوان يوسف الثالث ، ملك غرناطة،تحقيق عبد الله كنون معهد مولاي الحسن ، تطوان،(د،ط) ،(د،ت).*

30. *شرح ديوان عنترة ،الخطيب التبريزي ،حققه مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ،ط1،بيروت 1416ه-1995م*

31. *طريق الهجرتين وباب السعادتين ،شمس الدين أبي عبد الله بن القيم الجوزية ،تحقيق عبد الكريم فضلي ، المكتبة العصرية صيدا د،ط د،ت.*

32. *الشعراء المروانيونفي الأندلس ،مصطفي فتحي أبو شارب ،دار المفردات (د،ط)،1419ه-1999م.*

33. الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ،محمد مجيد سعيد ،دار الوفاء ،ط2، 2008ه، 34- الشعر في عهد المرابطين والموحدين ،محمد مجيد سعيد ، دار الراية ،ط3، 2008م. -

34. الغربة في الشعر الجاهلي ، عبد الرزاق الخشروم ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،(د،ط)،1982.

35. غابر الأندلس وحاضرها ، محمد كردي علي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ،(د،ط)، (د،ت).

36. الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي ،فاضل فتحي محمد والي ، دار الأندلس ،ط1، 1417ه-1996م

37. في الأدب الأندلسي ، محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، سورية ، 2000.

38. القاموس المحيط ،محمد الدين بن يعقوب فيروز الأبادي بتحقيق أنس محمد سامي وزكرياء جاب أحمد ، دار الحديث ،القاهرة ،م1، (د،ط)،1429ه-2008م.

39. لسان العرب ،أبو الفضل جمال الدين محمّد بن المنظور ،دار صادر بيروت ،ط3،(د،ت).

40. اللّزوميات أبي العلاء المعري ،تحقيق أمين عبد العزيز خانجي ،ج2 ،مكتبة الهلال، بيروت،(د،ط)، (د،ت).

41. المجموعة الكاملة أبوالعلاء المعري ،طه حسين ،دار الكتاب العربي اللبناني ،مكتبة المدرسة ،ط2،

42. معجم مصطلحات هيقل ،ميخائيل أنوردا اللبناني ،مكتبة المدرسة ،ط2، ترجمة الإمام عبد الفتاح ، المركز الأعلى للثقافة ،(د،ط)،(د،ت).

43. المعجم الوسيط ،شوقي ضيف ، مكتبة الشروق الدولية ،ط**4**، **1425**ه-**2004**م.

44. المغرب في ترتيب المعرب، الإمام اللّغوي أبي الفتح ناصر الدين المطرزي ، تحقيق محمود فاخرزي الحميد المختار ،مكتبة أسامة بن زيد، سوريا،ج**2**،(د،ط)،(د،ت).

45. المعجم المفصل في اللغة والأدب ،إيميل بديع يعقوب وميشال عاصي ،دار العلم الملاين ،بيروت ،(ط**1**)،**1987**م.

46. المغرب في حلى المغرب ، لابن سعيد المغربي ،دار المعارف بمصر ، القاهرة ،ط**2**،(د،ت).

47. المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ،دار العلم الملاين ،بيروت ،ط2،1984م.

48. من ذخائر التراث الاسلامي النوازل الكبرى في التاريخ الاسلامي ،فتحي زغروت ، الأندلس الجديدة ،ط1430،1ه-**2009**م.

49. نفح الطيب ، من غضن الأندلس الرطيب ، المقري التلمساني ،تحقيق محمد البقاعي ،دار الفكر بيروت ،ط**2** -**2008**م.

50. المنازل والديار ، أسامة بن المنقذ ،تحقيق مصطفي حجازي ، دار سعاد والصباح ، القاهرة ،ط**2**، **1413**ه- **1992**م.

المجلات والدوريات :

51. مجلة عالم الفكر ،الاغتراب أبو زيد أحمد ، ع**1** ، مج **10**، -**1970**

52. مجلة العلوم الإنسانية ، الاغتراب، جديدي زليخة، جامعة وادي سوف، ط**1**، ع**8**، (د.ط)، الجزائر، جوان **2012**،.

53. الحنين والغربة في الشعر الأندلسي ، عصر سيادة غرناطة ، مها روحي ابراهيم خليل ، رسالة ماجيستار بإشراف ، د ، وائل أبو صالح ،2007،

الملخص:

عرفت الأندلس بروز شعراء مجيدين في كلّ الأغراض الشعريّة. وقد فوقوا في شعر الاغتراب على المشارقة ، وذلك بحكم الظروف الخاصة لبلادهم . وقد عُرف الشعراء الغرناطيين بظم شعر جيّد في الاغتراب ، عبروا فيه عن تعلّقهم ببلدتهم غرناطة التي اضطروا إلأى مغادرتها. فعبروا عن أشواقهم وحنينهم لأحبائهم وشبابهم ،وإحساسهم بالوحشة والوحدة في السجون ،فوصفوا غربته وما تركته من آثار في نفوسهم .وقد اتسمت قصائد الاغتراب عندهم ببساطة اللغة ، وإحكام النّسج ، واستخدام صور البيان ، وألوان البديع ،وتوظيف البحور المألوفة

كلمات مفتاحية :الشعر ، الاغتراب ، الأندلس ، غرناطة.

Abstract

Andalusia Was know by the emergence of many poets who composed very well poems in all kinds of poets.they excellend in nostalgic kind .The poets of a Gharnatah (grnada) were known by their nostalgic poetry , where they expressed their attachment to their coutry. Their poems are characterized by the simplicity of language,the good style,the rhetorical figures and the traditional rhythm.

Key –words:poetry,narnatah.

Résumé

L 'andalousie a connu l’emergence de grands poétes qui ont prouvé une excellence dans tous les genres de la poésie.il ont depassé les Orientaux dans la poésie nostalgique ,gràce aux circconstances de leur pays….

Les poétes Gharnatahs (Granada) étaient connus par la composition de beaux poémes nostaligique,dans lesquel ils ont exprimé leur attachement à leur pays qu’quitté , malgré eux.

L’a poémes qu’ont composés dans ce genre,sont caractérisés par la simplicité de la langue ,la beauté du style,l’utilisation de figures de rhétorique et le rythme traditionnel.

Mots-clefs :poésie, nostalgie,Andalousie,ghrnatah.